روايات عبير

هذه ليلتنا

www.elromancia.com

مرمورية

Alix VERNEUIL

N° 618

روايات عبير

كان من الطبيعي أن تتجاوب "كاليكو سميث" تلك الطالبة الجامعية العصامية مع مشاعر "بيتر أندرسون" ذلك المهندس الشاب الثري الذي تنبه فجأة إلى أنه غارق في حبها.

حالت كبرياؤها وأبى اعتزازها بذاتها أن تذعن لرغبته في أن يسدد عنها ديونها وأصرت على وجهة نظرها..

تفاقمت المشكلة وطال الفراق وخيمت الأحزان إلى أن كانت تلك الخطة الذكية الظريفة..

www.dvd4arab.com

ثمن النسخة

لبنان	٢٥٠٠ ل.	قطر	٨ ريال
سوريا	٧٥ ل.	مسقط	٧٥٠ بيسة
الأردن	١ دينار	مصر	٥ جنيه
السعودية	٨ ريال	المغرب	٢٠ درهم
الكويت	٧٥٠ فلس	ليبيا	١ دينار
الإمارات	٨ دراهم	تونس	٣ دينار
البحرين	٧٥٠ فلس		
U.K.	2£		

ISBN 9953-424-94-2

9 789953 424941

قطاع الك
0/00

مقدمة

حب متدفق ورغبة جياشة.. وعائق شخصي.. بعد التغاضي عن الفوارق الاجتماعية وكل ما تنطوي عليه.

www.elromancia.com
مـــرمـــوريـــة

شخصيات الرواية

"كاليكوسميث" : بطلة الرواية ، الطالبة الجامعية ذات الوضع الاجتماعي المتواضع.

"بيتر أندرسون" : بطل الرواية ، المهندس الشاب النابغة ، واسع الثراء.

"آبي كولب" : صديقة "كاليكو" وزميلتها في المسكن والجامعة.

"ستيكس ستاتلر" : صديق الفتاتين وزميلهما الذي أحب "آبي" وساعد "كاليكو".

الغلاف الأمامي

قالت الفتاة -مركزة بصرها على عينيه-:

- أعرف كثيرات ممن على استعداد لأن يعطين قدرا من أعمارهن في مقابل أن ينلن مثل هذه الأهداب.

- يا للخسارة.. منذ ثلاثين عاما تقريبا.. وهن يتمتعن بأهدابي. والآن حان موعد تعاطي دواء الحساسية.

قالت. وهي تعض شفتها خشية أن تنفجر ضاحكة-:

- هيا إذن بلا تأخير لكن.... هل يمكنني أن أسترد يدي؟

فقال "بيتر" مترنحا:

معذرة؟ آه.. لم أتنبه إلى أنني.. من الأفضل أن أحاول، إنني مريض جدا.

ثم توجه إلى مقعده فسألته:

- هل تعاني نزلة برد؟

- مرضاً وبائياً.

انفجرت ضاحكة فسألها:

- لماذا أنت دجاجة؟

- أعمل على ترويج منتج جيد من لحم الدجاج لصالح أحد المتاجر. وقد قضت الفكرة بأن أحتفظ بردائي التنكري إلى ما بعد مغادرتي المتجر من قبيل الدعاية لهذا المنتج الجديد.

الفصل الأول

ضم "بيتر أندرسون" رداءه القديم بقدر أكبر والقى نظرة متكاسلة على الترمومتر الذي كان قد أخرجه من فمه توا. كبح زمجرة ومد ذراعه كي يضعه على المنضدة القريبة من المقعد المجنح الذي كان مستلقيا فوقه.

قال محدثا نفسه بحزن: إنه كان مريضا جدا.. مريضا بحق.. فقد جاوزت درجة حرارته تسعا وثلاثين درجة في الصباح الباكر. ولم يكن ذلك بالأمر الذي يمكن الاستهانة به. وكان يعاني صداعا شديدا بالرأس وآلاما مبرحة بالشعر وبالحاجبين ثم بالأسنان. أدار رأسه إلى المنضدة متأملا موكب الزجاجات التي اصطفت فوق المنضدة فيما يشبه عرضا عسكريا. رفع ساعة يده التي كانت فوق حافظة أوراق بالقرب من كومة من المناديل النظيفة ناصعة البياض. تردد قليلا ثم تناول حافظة الأوراق الصفراء محاولا التركيز على السطور التي امتلأت بها أولى الصفحات. أضاف ملاحظة إلى قائمة التوصيات الطويلة التي كان قد سجلها من قبل ثم وضع الحافظة والقلم فوق المنضدة. طافت يده في تردد فوق زجاجات الدواء. اختار من بينها أخيرا زجاجة تناول منها القرصين اللذين هداه تفكيره الأحمق إلى تناولهما.

تنفس بتراخ وتكاسل. أحس بأن حالته الصحية سيئة للغاية.. وبأنه سوف يصاب بحالة مؤسفة من كثرة الأحلام وتباينها. لقد استطاع على الأقل الانتهاء من تصريف أموره المهمة. أصبحت وصيته جاهزة أخيرا فقد تمت كتابتها وتوثيقها وإيداعها. وبذلك سيموت منظما على الأقل.

ووالدته المسكينة.. سوف تفقد صوابها حزنا عليه. قد تضطر إلى إضاعة أمسية كاملة وربما أمسيتين أيضا بعيدا عن مائدة الـ"بريدج".

وربما لا تفعل ذلك بل تكتفي بأن ترتدي ثوبا أسود في الساعات الأولى.. ولا بأس فهذا خير من لا شيء.

وشقيقته؟ ربما تتوقف ما بين مضجع وآخر لتنتحب حزنا على شقيقها الأصغر الفقيد. لا! ربما تبكي في كل مرة تغير فيها مضجعا بين رفاقها الثلاثة. وفي ذلك عزاء أكثر من عدم بكائها على الإطلاق.

تثاءب "بيتر" متمطيا فوق المقعد..

تمنى ألا يكون في جنازته كثير من الزهور والورود؛ لأن ذلك لن يكون بالأمر المحتمل بسبب الحساسية الشديدة التي كان قد أصيب بها وهو لم يزل في عامه الواحد والعشرين. من المؤكد أنه لن يفوت والدته كما لن يفوت شقيقته أن تتذكرا ذلك وأن تكتفيا بالحديث عنه وبالبكاء عليه وبالحديث عن ذكرياتهما عنه لكن بدون.. بدون زهور.

استغرق "بيتر" في النوم.

لكن بعد حوالي ساعة واحدة استدعاه من نومه قرع عال متكرر على الباب. فتح عينيه وألقى نظرة خاوية على من حوله مدركا بغموض أن تلك الضوضاء لم تكن سوى إحساس مصاحب لذلك الصداع النصفي الذي كاد يحطم رأسه. فتح عينيه مرة ثانية وفهم أخيرا أن ذلك القرع كان على باب شقته.

ألم يكن ذلك مناسبا جدا! كان ممددا ينتظر لحظة فراق الحياة وأحدهم كاد يحطم الباب كي يبيع له موسوعة أو شيئا من هذا القبيل. لا. لن يحمل جسده الواهن حتى عتبة ذلك الباب.

لكن القرع على الباب اشتد وتواصل.

أرغم "بيتر" نفسه على النهوض والوقوف على قدميه متمتما بلفظ خارج. تكاد والدته العزيزة تسقط مغشيا عليها لو سمعته. انتظر حتى تهدأ حالة الدوار التي أصابته ثم توجه نحو الباب ببطء شديد.

فتح الباب ثم نظر إلى الواقف بعتبته وسرعان ما أغلقه ثانية بعنف جعل زجاجات الدواء ترتطم ببعضها البعض. قال:

– يا إلهي!

التف حول نفسه قبل أن يستند إلى أحد الجدران ممددا يديه أمامه كما لو كان يحاول أن يدفع بتلك.. بتلك الرؤية بعيدا عنه قال متمتما:

– يا إلهي. يا إلهي.. النجدة!

انتابته حالة اهتياج. ظن أنه متوهج بفعل الحمى على الرغم من أنه لم يكن –في تلك اللحظة– يعاني إحساسا شديدا بالمرض. لابد إذن أنه قد بدأ يدخل مرحلة من الهلوسة. نعم. لابد أن يكون هذا هو الحال. فهذه هي بداية النهاية. المرحلة ما قبل الأخيرة للدخول في الغيبوبة. إنه يهذي. نعم يهذي تماما؛ لأن لا تفسير آخر لما رآه فهذا مستحيل ولا وجود له. فمن غير الممكن أن تقف بعتبة بابه دجاجة أو بالأحرى فرخ في حجم بشري.

وبدأ ذلك الشيء يطرق الباب ثانية. سار "بيتر" مترنحا حيث ابتعد عن الباب تلقائيا وهو مركز عليه بصره كما لو كان ذلك هو باب الجحيم.

سمع صوتا مكبوحا ينادي:

– أرجوك.. أرجوك..

ضرب "بيتر" جبينه بيده.

أهلا أهلا! دجاجة ليس لها وجود حقيقي تتحدث وتعبر عن نفسها بأدب جم. فتنة نادرة! فرخ بألوان الطيف ذو ريش أصفر براق ومنقار برتقالي مضيء، شيء يفوق ارتفاعه مترا وسبعين سنتيمترا. تناسق لا بأس به لطائر بهذا الارتفاع.

قال الفرخ مكررا:

– أرجوك. رغم شدة أسفي لإزعاجك أؤكد لك شدة حاجتي إلى

مساعدتك يا سيدي.

فرخ في خطر! فرخ بحاجة إلى مساعدة!

وإذ كان "بيتر" يعاني شدة الإرهاق بسبب المشاعر المختلطة والمتضاربة التي احتلت ذهنه المنهك اختار "بيتر" أن يلجأ إلى الحل المتسم بالشجاعة استنادا إلى أنه كان على أول طريق النهاية. فتح الباب برفق وانحنى بأدب أمام الفرخ الذي دخل حجرة الاستقبال متبخترا باختيال. قال معلقا:

جميلة جدا تلك الأرياش الثلاث الحمراء التي فوق.. فوق ظهرك.. خلابة في الواقع.

قالت الدجاجة بصوت كاد ألا يسمع:– إذ إنه ليس للأفراخ ريش أحمر–.

– آه.. أنت مريض. أكرر لك اعتذاري لكن لا يبدو أن أحدا معك هنا بالمنزل هل ما تعانيه هو ألم بالرأس؟

– ألم بكل جسدي. لقد اهتديت إلى الشقة المناسبة على أية حال. أنا الذي استدعيتك في هذياني.

– معذرة؟

– لا تمعني في اللعب بأعصابي. أعلم أنك من نسج حالة الحمى التي أعانيها. وأتساءل ماذا سيكون تعليق المحلل النفسي الذي تلجأ أمي إليه في مثل هذه الظروف لو علم أن خيالي ينتج دجاجا؟ لابد أن يكون لديه تفسير ما لهذه الظاهرة. تفسير يتميز بالعمق إلى حد ما. ما هو نوعك. لو سمحت لنفسي بأن أطرح هذا السؤال؟ لا يتضح لي ذلك من خلال صوتك ومع ذلك يخيل إلي أنك أنثى وأنك سوف تتحولين إلى دجاجة جميلة في المستقبل.. هل أنت كذلك؟

قالت الدجاجة مهمهمة –بينما اتجه نظرها إلى حشد زجاجات الدواء الموضوعة فوق المنضدة–:

– همم. ماذا تأخذ؟ إنك تشرد بذهنك بعيدا لو كنت ترى أن...

فقاطعها بحدة:

– إنني رجل مريض.

– حقيقة؟ لن أناقش هذا الأمر معك. لو تفضلت بمساعدتي مدة ثانيتين قصيرتين فسوف أرحل على الفور.

قال في النهاية:

– آه. بالتأكيد. حتى لا يقول أحد إن "بيتر أندرسون" قد ترك دجاجة في ضيق. سوف تضطر أمي إلى التحول عن جمعية المسنين الشباب في "ستيوارت" بـ"كاليفورنيا". أنا شخصيا أعيش هنا في "فونكس" لكن والدتي العزيزة دائما ما كانت تحلم بالتقاعد في "فلوريدا" وقد تحقق لها هذا الحلم منذ أربع سنوات. آسف.. إنني أضايقك.. ولا أنقل إليك أية معلومة؛ لأنك لست إلا مخلوقة من صنع خيالي.

قالت الدجاجة:

– كما يحلو لك يا "بيتر أندرسون" ولكن...

– آه.. نعم.. تذكرت... ما الذي يمكنني أن أفعله من أجلك؟

– آه.. حسنا... إنها مشكلة تتعلق بالزمام المنزلق "سوستة". لقد التصق فلن أصبح قادرة على خلع هذا.

رفع عينيه نحو السماء قائلا:

– أرى أنه ينبغي أن أعيد قياس درجة حرارتي.

– اسمعني يا "بيتر".. هل تسمح لي بأن أناديك "بيتر"؟ انظر..

وأدارت الدجاجة له ظهرها مستطردة:

ألا ترى الزمام المنزلق ملتصقا بالنسيج عند فتحة العنق؟

اقترب "بيتر" حيث أبعد الريش الملون عن المكان الذي حددته له وفحص ما حول عنق الطائر. قال:

– واقع الأمر أن جزءا من رأسك بداخل ذلك الزمام المنزلق.

ثم صاح بصوت عال:

– لست إذن دجاجة حقيقية.

– ياله من استنتاج عبقري.. على الرغم من أنني كنت على وشك الاختناق لولا مساعدتك إياي.

– وما الذي تفعلينه بارتدائك هذا الزي في منتصف فترة ما بعد الظهيرة؟ هل يمكنك أن تتصوري ما يمكن أن يفعله هذا بذهن مرهف جدا لرجل.. مريض؟

– صدقني.. لم تبخل علي بإخفاء أي قدر كان من معاناتك. لكن هل تسمح لي لو تفضلت بأن تكف عن هذا الصياح وتخلصني من هذا الثوب التنكري؟

لم يجبها "بيتر" بشيء بل آثر التركيز على مهمته. أخذ يجذب وينزع ويشهق ثم صاح أخيرا:

– انتصرت.

وبدت الدجاجة في حالة من الإعياء الشديد. استطرد قائلا:

– حسنا.. تريدين أن أفتح الزمام حتى آخره؟ هل أنت على وضع مهذب من تحت هذا الريش؟

– آه.. الرحمة! لا أحد يكون عاريا من تحت ثوب دجاجة تنكري!

– اعذريني. لست على علم تام بآداب هذا الموضوع. وطالما تقولين ذلك..

وبدأ "بيتر" يفتح الزمام المنزلق مخلصا رأس الدجاجة من ذلك الرداء ثم كتفيها حتى سقط ذلك الزي التنكري على الأرض والتفتت الفتاة المجهولة نحوه مبتسمة تشكره

عندئذ كبحت أنفاس "بيتر أندرسون" الذي ما إن استطاع استئناف التنفس حتى صاح محدثا نفسه: يا إلهي! لو كان ما يراه هذا من تأثير الحمى فليته يظل مريضا مدى الحياة. لكن لا. كان الذي أمام عينيه شيئا حقيقيا.. إنها مخلوقة نحيلة لها شعر بني منموج جميل..

www.elromancia.com

وكانت ملامح الفتاة رقيقة تعكس جمالا طبيعيا تغنيه نضرته عن استعمال مستحضرات التجميل.

وعيناها.. لم ير طوال حياته عينين في مثل اتساعهما ومثل زرقتهما. وابتسامتها.. أرق الابتسامات وأكثرها دفئا.. أملى على نفسه ألا ينظر إلى وجه الفتاة مدة أطول. خفض عينيه فرأى قميصها التائي الأحمر مطوقا صدرا صغيرا جميلا، ثم رأى ذلك البنطلون القصير الأبيض ورأى من تحته هاتين الساقين الطويلتين الرقيقتين المثيرتين. كانت تلك هي أجمل دجاجة في الوجود.

قالت -باسطة نحوه يدا رقيقة-:

- أشكرك يا "بيتر اندرسون". أعرفك بنفسي. "كاليكوسميث".

استطاع أن يقول في النهاية وبصوت مختنق:

- إنني سعيد جدا.. جدا..

أحست "كاليكو" بموجات دفء تنتقل إلى ذراعها عندما ضمت يد "بيتر" القوية يدها. رأت أن لا بأس به على الإطلاق.

قدرت طوله بحوالي متر وثمانين سنتيمترا وكان عريض المنكبين، وعلى الرغم من الروب البالي الذي ارتداه رأت أنه لا توجد أوقية دهون واحدة على جسده الرشيق. وكان وجهه متناسقا قوي الملامح واضح الزوايا مما تضارب مع رقة فمه الذي كاد أن يكون حسيا. وكان أسود الشعر وقد صففه بعناية وحرص على أناقة تشذيبه. أما عيناه العسليتان فكانتا محفوفتين بأطول أهداب رأتها طوال حياتها وأكثرها كثافة لدى الرجال.

قالت الفتاة -مركزة بصرها على عينيه-:

- أعرف كثيرات ممن على استعداد لأن تتنازلن عن قدر من أعمارهن في مقابل أن ينلن مثل هذه الأهداب.

- يا للخسارة.. منذ ثلاثين عاما تقريبا وهن يتمتعن بأهدابي... والآن حان موعد تعاطي علاج الحساسية.

قالت -وهي تعض شفتها خشية أن تنفجر ضاحكة-:

- هيا إذن بلا تأخير لكن.. هل يمكنني أن أسترد يدي؟

فقال "بيتر" مترنحا:

- معذرة؟ آه.. لم أنتبه إلى أنني... من الأفضل أن أحاول. إنني مريض جدا..

توجه بكل حذر نحو المقعد المجنح.

- هل أنت مصاب بنزلة برد؟

فقال -مغمضا عينيه-:

- بمرض وبائي.

انفجرت ضاحكة ففتح إحدى عينيه قائلا:

- ليس هذا بالأمر الغريب.

إذ رأى أن ذلك لم يكن أكثر غرابة من ذلك الدفء المفاجئ الذي سرى في جسده الواهن المسكين منذ اللحظة التي بدأت تضحك فيها.

- لماذا أنت دجاجة؟

- كنت أعمل على ترويج منتج جديد من لحم الدجاج لصالح أحد المتاجر حيث يقومون بوضع أنصبة صغيرة من هذا المنتج في الميكروويف ويقدمونها للزبائن. وقد قضت الفكرة بأن أحتفظ بردائي التنكري هذا حتى بعد أن أغادر المتجر من قبيل الدعاية لهذا المنتج الجديد.

- آه.

- وكان من الغريب أنني ركبت إحدى سيارات نقل الركاب العمومية ولم تبد الدهشة على أي من الوجوه. هل يمكنك أن تفهم لهذا معنى؟ كان من الممكن أن يقال: إن دجاج "فونكس" اعتاد التنزه في سيارات نقل الركاب. ولدى عودتي إلى بيتي تبينت أن هذا الزمام المنزلق الملعون كان ملتصقا بي، وهانذا جارتك في رحلة بحرية وقد استخدمتني للعناية بشقتها. انتقلت إلى هنا بالأمس. حيث أقوم بري مزروعاتها

وأحتفظ لها بالخطابات وأطعم السمكة الحمراء وكل هذه الأشياء الأخرى..

– أوه–رر مسكينة تلك السمكة الصغيرة. ويالها من حياة مملة تلك التي تحياها تظل تدور بداخل برطمانها.. هناك عدد من الأحجار الملونة في القاع.. دائما ما أتساءل عما تفكر فيه، وما هي فكرتها عنا؟ ألا تشاركني هذا الرأي؟ شقتك تثير إعجابي.. فهي متواضعة تنم عن ذوق رفيع.. جارتك منيمة بحب الزهور.. تضعها في كل مكان.. في الزهريات وفي القدور وعلى شكل مفرش من القماش فوق كل مقعد وعلى الجدران. باختصار شديد تجعل من شقتها حديقة زهور. آمل ألا أخطئ وأقوم بري الأريكة.. لأنها باهظة الثمن جدا.. وهذه الشقق فسيحة أيضا.. هل أنت متزوج؟

– معذرة؟ كنت... كنت أتابع معك أمر السمكة الحمراء والأريكة.

– هذه الشقة كبيرة جدا بالنسبة لأعزب. لهذا سألت عما إذا كنت متزوجا، لأنني لا أحب أن تغضب زوجتك بسبب أنك قد ساعدتني في خلع ثوب دجاجة.

انفجر ضاحكا.. لحظة قبل أن يقطب حاجبيه ويضع أصابعه فوق صدغيه.

– لا تضحكيني بحق السماء وإلا انفجر رأسي. لا.، لست متزوجا ولم أكن متزوجا من قبل. ووفقا لما تسير عليه ظروفي لن أعيش طويلا حتى أهتدي إلى الزوجة المناسبة.

– صدقني يا "بيتر" لا يمكنني أن أقتنع بأن نزلة برد كهذه من الممكن أن تطرحك إلى هذا الحد.

– ومن الذي يعلم؟ أما عن الشقة.. فإنني بحاجة إلى مكان فسيح بهذا القدر. لأنني أحمل الكثير من عملي إلى هنا، قد قمت بتحويل إحدى الحجرات إلى حجرة مكتب لي. إنني مهندس. صاحب شركة "أندرسون" الهندسية. هل يفسر لك هذا شيئا ما؟

قالت –وقد بدأت تضحك من جديد–:

– لا. لأن أحدا من هؤلاء المهندسين لم يقم ببناء منزل لي من قبل. يا لغرابة هذه الحياة! ولا أمتلك سيارة أيضا. لكن لا بأس. ما الذي يمكنني أن أفعله لك قبل أن أمضي؟ ساعدني على ذلك. إذ توجد فوق هذه المنضدة من زجاجات الدواء ما يكفي لفتح صيدلية!

– هل لك من الكرم والرقة ما يمكنك من أن تقدمي لي كأس عصير برتقال؟ يوجد قدر كبير منه بالثلاجة.

ظلت نظراته تتابعها في توجهها نحو المطبخ. رأى أنها جميلة.. جميلة جدا. استهوته خفة مشيتها التي كادت أن تكون راقصة.. وتناسق قوامها الممشوق.. كانت تتدفق حيوية ولكنها لم تكن على شاكلته. فقد اعتاد اصطحاب نساء أكبر سنا وأكثر نضجا وخبرة ممن تشغلن أماكن ووظائف مرموقة ،ولم يسبق لواحدة منهن تحت أي ظرف كان أن تنكرت كدجاجة أو فرخ.

وكان أيضا ينبغي القول: إن أولئك النساء ماكن ليزعجن أنفسهن بحيث يسرن مائة متر عندما يكون مريضا بل كن يخشين العدوى التي قد تملي عليهن الانقطاع عن أعمالهن الثمينة الغالية. فمن منهن كانت ستقدم إليه كوب عصير برتقال؟ ولا واحدة بينما هذه الصبية التي لا يزيد عمرها على اثنين وعشرين أو ثلاثة وعشرين عاما تفعل ذلك تطوعا.

قالت "كاليكو" بحماس:

– هذا هو العصير المطلوب.

ثم وضعت الكوب فوق المنضدة ثم أخذت رداء التنكر الذي كان ملقيا على الأرض.

– أكرر شكري لك يا "بيتر". لا تتحرك! سأعرف طريقي إلى الباب. وأرجو أن تكون بحالة أفضل قليلا.

– نعم. ينبغي أن أعترف بأنني في هذه اللحظة..

– هيا! تشجع يا صديقي!.. سوف الوذ بالفرار.

أغلق الباب من خلفها وخيم على الشقة صمت ثقيل. قال "بيتر" وسط الخواء:

– إلى اللقاء يا "كاليكو".

رقدت "كاليكو" بعد انقضاء ساعة تقريبا في حوض الاستحمام واضعة رأسها فوق الحافة الرخامية للحوض حيث أخذت تستنشق عطر مستحضر رغوي برائحة الليلك.

كان ينبغي عليها أن تبدأ الاستذكار. كانت تعلم ذلك جيدا ومع ذلك رأت أن تمنح نفسها عشر دقائق من الاسترخاء. كان ذلك قمة الترف وقد تفضلت السيدة "وذرباي" بأن سمحت لـ"كاليكو" بأن تستخدم ما تريده من مستحضرات الاستحمام التي كانت هناك منها قنينات وأنابيب وزجاجات تفوق عدد المستحضرات الدوائية التي اكتظت بها منضدة "بيتر أندرسون".

حدثت نفسها –بينما كانت تغوص بقدر أكبر نحو الأمام من تحت الماء– بأنه فتى جميل ذو وجه مثير للاهتمام وأهداب.. أهداب! جميلة بحق. لو كان سيموت بسبب هذه النزلة البردية –وكان ذلك ما ينويه كما يبدو– فمن الواجب عليه أن يهب أهدابه غير العادية هذه للعلم والدراسة.

بدا عليه الثراء على الرغم من ردائه القديم والحذاء البالي. لابد أنه يقوم بتصميم المنازل من أجل واسعي الثراء ويحصل على أتعاب وعمولات باهظة. يعيش بمفرده في تلك الشقة الفسيحة؛ لأنه بحاجة إلى الرحابة. الأمر بالنسبة إليه في مثل هذه البساطة. هكذا اعتاد أمثاله من الناس أن يعيشوا. تريد شيئا؟ تشتريه.

حسنا. رأت أنه ينبغي عليها أن تنتزع نفسها من تلك الأعجوبة

نهضت وتدثرت بأكثر المناشف التي لمستها طوال حياتها كثافة ونعومة.

قالت محدثة نفسها –بينما كانت ترتدي بنطلونا قديما من الجينز وقميصا من الصوف وردي اللون..– يوما ما.. يوما ما.. سيكون لي مكان جميل أعيش فيه وثياب غالية أرتديها وثلاجات مليئة بما لذ وطاب..

وقفت تصفف شعرها.. إنها لا تعيش في نفس مستوى أسرة "وذر باي" أو "بيتر أندرسون" بل هي بعيدة عن ذلك المستوى كل البعد. ومع ذلك كيف يمكن لفتاة لها مثل نشأتها أن تتساوى مع من يستقلون الطائرة لقضاء إجازة في جزر "الكاريبي" أو من لا يترددون في تناول العشاء بالمطاعم الفاخرة أربع مرات أسبوعيا؟ سوف تغتبط إذا ما أصبحت لها شقة صغيرة ،ومن النقود ما يكفي لكي لا تكون شديدة الحذر في الإنفاق على مشترياتها من أصناف البقالة. يوما ما.. يوما ما....

دخلت المطبخ الذي حوى من الأدوات والآلات والمعدات ما جعله أشبه بسفينة من الداخل.

تناولت عشاء مكونا من الخبز والجبن وطبقا من حساء الطماطم قبل أن تعود إلى حجرة الاستقبال حيث استلقت فوق إحدى الأرائك وفتحت كتابا دراسيا. استقرت عيناها طويلا على السطر الأول من تلك الصفحة دون أن تستطيع قراءة المزيد. تخيلت نفسها مديرة مرموقة لإحدى كبريات المنشآت تلتقي بطريق المصادفة بـ"بيتر" ذلك الصديق القديم بعد كل تلك السنوات وربما يكون في إمكانها أن تعطيه ساعة من وقتها الثمين تتناول خلالها معه غداء سريعا.

صاحت فجأة:

– "كاليكو سميث" هدئي من روعك!

لكن.. من الذي يعلم؟ قد تصبح يوما ما محاسبة مرموقة.. لكنها

لن تنتمي قط إلى عالم "بيتر".

تذكرت تلك المنازل الفخمة التي كانت تنظر إليها بعين الإعجاب - عند عودتها من المدرسة ثم تعود إلى بيتها وإلى عالم مختلف تماما في تلك الشقة الصغيرة شديدة النظافة التي كانت تعيش فيها مع جدتها. عالم آخر في الواقع.. ومع ذلك كانت لهذا الشاب المدعو "بيتر أندرسون" أجمل نظرات في العالم.

الفصل الثاني

قضى "بيتر" ليلة غير مريحة تماما. استيقظ فجاة قبل مطلع الفجر على أثر حلم مزعج أخير طارده فيه فرخ عملاق حول متاهة من زجاجات عصير البرتقال.

اضطر بحلول الساعة السابعة إلى الاعتراف بانه لن يمكنه العودة إلى النوم ، لذلك نهض ليتوجه مترنحا متمايلا إلى الحمام. وبعدما اغتسل وحلق ذقنه تامل وجهه في المرآة فرآه كئيبا. فقد بدا مكتئبا متقدما في السن بحيث لم يكن من الممكن لأي إنسان أن يعارضه إذا ما قال: إنه قارب على الأربعين بدلا من الثلاثين. لقد كبر كل تلك السنوات في غضون ليلة واحدة وأصبح حطاما مهملا من الجميع باستثناء "كاليكو" وكوب عصير البرتقال الذي قدمته إليه.

غادر الحمام متنهدا. ارتدى حلة رمادية -حتى يتناسب لونها مع شحوب لونه- وقميصا باللون الأزرق الباهت ورابطة عنق رمادية قاتمة.

وفي انتظار أن يتم إعداد قدح قهوته قام بقياس نبضه ودرجة حرارة جسمه واتضح له أنهما طبيعيان جدا.

ومع ذلك لم يكن أي شيء فيه على ما يرام. فقد أحس بإرهاق شديد وارتخاء وضعف شيخوخي وهبوط، اعتبر "كاليكو سميث" هي المسؤولة عن تلك الحالة البغيضة بسبب مطاردتها له حول متاهة من زجاجات عصير البرتقال.

لم يكن من الممكن أن يكون أحد غيرها هو الذي فعل به ذلك؛ لأنه لم يكن بين أقاربه فرخ آخر بالحجم البشري.

لطيفة جدا "كاليكو" هذه.. وصغيرة. صغيرة؛ لم يكن جمالها من النوع الكلاسيكي بالتأكيد. استعاد رؤيته إياها لحظة أن خرجت من ردائها التنكري وعاودته أحاسيس تلك اللحظة. فقد بدت لعينيه وكأنها محاطة بهالة من النضارة وأشعة الشمس. لا.. صفة الصغر لا

www.elromancia.com

تنطبق عليها تماما.

لماذا يثقل ذهنه المنكوب بالتفكير في تلك الفتاة؟ ما من شك في أن السبب راجع إلى أنها ظلت تطارده طوال الليلة السابقة وكان الأحرى بها أن تتركه ينعم بقدر من الراحة التي هو في أمس الحاجة إليها. لم تكن "كاليكو" فرخا مراعيا ظروف الآخرين.

ثم إنه هو "بيتر أندرسون" المهندس المعروف ذلك الرجل العبقري الثري الرزين.. والمريض أيضا.. قد بدأ يتأرجح في محيط من الحماقة الحقة. ينبغي عليه التوجه إلى مكتبه. فبعد هذه الفترة من الانقطاع عن العمل التي كاد أن يموت فيها متأثرا بإصابته بتلك النوبة البردية -منذ ثلاثة أيام كاملة- لابد أن يكون قد تراكمت فوق مكتبه أكوام الملفات والأوراق التي تأخر البت فيها.

كان قد طلب من "ميريام" سكرتيرته الخصوصية ألا تزعجه -أثناء مرضه- لكنه كان يعتقد أنها -بوصفها بمثابة الجدة بالنسبة إليه وبالنظر إلى أنها تعرفه منذ أجيال- سوف تقلق عليه وتتصل به.

غادر "بيتر" شقته وهو يجتر تلك الأفكار الحزينة الكئيبة التي انعكس صداها على وجهه.

دخل المصعد في اللحظة التي سمع فيها صوتا ينادي:

- انتظر! اترك الباب مفتوحا من فضلك!

فعل ما طلب منه ولم تمض لحظة حتى أسرعت "كاليكو سميث" عدوا إلى داخل المصعد.

قالت -والابتسامة عريضة مشرقة على وجهها-:

- أنت؟ كيف حالك هذا الصباح يا "بيتر"؟

- سيئ جدا. هل تهبطين؟

- ماذا؟ أووه.. نعم أهبط.

أعادت تعليق حقيبتها بكتفها. رأت أنه بادي النشاط رغم ادعائه أنه على وشك فراق الحياة. فقد بدا لها مذهلا في زي رجل الأعمال المرموق

الشاب. لم ينتقص من أناقته أو وسامته شيء يذكر حتى الأحرف الأولى الذهبية لاسمه التي ظهرت باحد أركان حقيبة أوراقه القاتمة الأنيقة.

وعلى الرغم من تمام علم "كاليكو" بانهما لن يكونا على شاكلة واحدة أحست بقلبها يخفق بشدة. أما معدتها فقد بدت وكأنها تقوم برقصة من نوعية غريبة جدا. لكن لماذا تعطر "بيتر" بهذا النوع الغالي من مستحضرات ما بعد الحلاقة؟ ينبغي عليها أن تهدئ من انفعالها.

سألها "بيتر":

- لست دجاجة اليوم.

- لا. كانت فتاة. ارتدت بنطلونا من الجينز مع قميص تائي أخضر، وبدا شعرها البني المتموج براقا وعيناها تضيئان بزرقة نادرة. لا.. لم يكن بينها وبين ذلك الفرخ أي شبه كان. قالت ضاحكة:

- سأكون دجاجة في وقت لاحق من بعد الظهر لكنني ذاهبة صباح اليوم لحضور اليوم الدراسي.

هدأت سرعة المصعد الذي توقف تدريجيا وفتح بابه. قالت:

- إلى اللقاء.

- انتظري لحظة! أين تتلقين يومك الدراسي؟

- بجامعة "أريزونا". ليس لدي في الواقع وقت أضيعه في الحديث وإلا فأتني اللحاق بالأوتوبيس.

- يمكنني.. اسمعيني يا "كاليكو" يمكنني اصطحابك إلى هناك.

- آه.. لا أريد أن أرغمك على تغيير طريقك.

- لا مشكلة في ذلك. لدي أعمال تتطلب الإنجاز في ذلك القطاع قبل الذهاب إلى مكتبي.

- حقيقة؟

- طالما قلت لك ذلك، تعالي، سيارتي بالطابق الأرضي.

لم تكن لديه أية أعمال تتطلب الإنجاز في ذلك الحي البعيد عن موقع

مكتبه. لكنه كان على علم تام بأن الحمى قد دمرت قواه العقلية.

استقلا المصعد مرة أخرى حيث هبطا إلى الجراج بالطابق الأرضي. أخرج على الفور من جيبه منديلا أبيض وضعه على وجهه فسألته "كاليكو" عندما التفتت نحوه.

– هل ستعطس؟

أجابها بصوت مكبوح:

– مجرد منديل ورقي بسيط يقلل من التلوث بقدر كبير. هذا المكان مليء بالدخان والأبخرة. لقد تفهم الناس أخيرا أضرار التدخين. لكن دخان عادم السيارات في هذا الجراج بؤرة للتلوث الذي يجلب قائمة من الأمراض من بينها أمراض الجهاز التنفسي وسرطان الرئة وأمراض القلب والربو والحساسية والأمراض المعدية والمعوية.. وهناك ما هو أخطر منها أيضا!

ألقت بنظرة حولها وكأنها كانت تتوقع أن ترى حشدا من الڤيروسات يتحرك من حولها.

– هل ذكرت شيئا عن الڤيروسات المعدية والمعوية؟

– نعم. سيارتي هناك. إنها الزرقاء.

تعرفت الفتاة على الخطوط الدائرية "للمازدا مياتا".

– سيارة رياضية؟ محركها كبير قوي؟

ثم حدثت نفسها في صمت: وأسعارها باهظة جدا. فلابد أن تساوي هذه السيارة أكثر من مجموع الأموال التي مرت وستمر في يديها طوال حياتها.

– ألست على وشك أن تضيف دفعة من غازات العادم إلى ذلك القدر الملوث للجو؟

رفع "پيتر" المنديل من فوق أنفه وفتح الباب الأيمن. ساعدها بكل ما أوتي من رشاقة على أن تستقل مقعدها بارتياح. أثار مجرد إحساسها بيد "پيتر" تمسك بذراعها موجة من شرارات لم تلبث أن انتشرت في

سائر جسدها. حرصت على أن تضع حقيبتها أمام قدميها حتى لا يلاحظ اضطرابها وأحست بقدر من الارتياح عندما أعاد إغلاق الباب.

توترت من جديد عندما جلس قريبا منها بقدر كبير جعلها تلاحظ مدى ضيق هذا النوع من السيارات الرياضية. ركزت بصرها على الطريق من أمامها مصممة على ألا تسمح له بإثارتها.

قال –منطلقا بالسيارة–:

– إنك محقة فيما قلته عن غازات العادم. لكنني أعمل على خفض التلوث بأقصى درجة ممكنة من خلال إجراء الصيانة اللازمة لهذه السيارة على الوجه الأكمل.

تجاوزا حاجز المدخل وانطلقا في الطريق وسط المرور.

– لو فعل عدد كبير من أصحاب السيارات ما أفعله أنا.. والأوتوبيسات! تعتبر من أهم عوامل التلوث! كيف يمكنك المغامرة إلى هذا الحد؟

تأملته بقلق غير قادرة على أن تعرف ما إذا كان جادا فيما يقول أم كان ساخرا منها.

– إنك.. إنك تبدو معانيا ذلك بحق. أما عن الأوتوبيس فهو وسيلتي الوحيدة للانتقال.

– والحال كذلك ينبغي أن ترتدي قناعا طبيا.

قالت –كابحة ضحكة مدوية–:

– سوف أفكر في ذلك. أرجو ألا يكون الجو حارا جدا اليوم. لأنني سرعان ما أشعر بحرارة فظيعة وأنا بداخل ذلك الرداء التنكري لدجاجة. ومع كل ذلك يبدو الجو صحوا منعشا بالنسبة لهذا الوقت من أوائل شهر (أيار) مايو.

– تا.. تا.. تا.. لقد بدأت الأشجار تزهر! الموسم المثالي للإصابة بالحساسية. معاناتي إياها غاية في الشراسة.

حدثت "كاليكو" نفسها في صمت: "من المستحيل أن يكون هذا

واقعا ، لابد انني أحلم ، لقد بلغ "بيتر اندرسون" قمة الحماقة والثورة إزاء كل ما كان متعلقا بالأمراض والجراثيم وكل ما يتصل بها من آثار.

كان ينبغي عليها أن تشعر بالأسى لرؤية شاب على ذلك القدر من الجاذبية ضحية لمثل هذه الأفكار المثيرة للتوتر العصبي لكنها رأت في وساوسه طرافة.

– ما هي دراستك بالجامعة؟

– المحاسبة. من المقرر أن أحصل على شهادة تخرجي في نهاية العام الحالي. سوف أحاول بعد ذلك الالتحاق لدراسة بعض البرامج التي تؤهلني للحصول على الخبرة المحاسبية اللازمة. تثير في اختبارات هذه المواد الرعب. لكن ليس ثمة بديل أمامي.

– تبدين قوية العزيمة.

– هذا صحيح. أبلغ من العمر ثلاثة وعشرين عاما. وقد ضاع مني وقت طويل بسبب... على أية حال.. اضطررت إلى العمل بعض الوقت. عندما أصبح خبيرة في مجال المحاسبة ستفتح أمامي الأبواب لشغل وظائف جيدة. سوف أجتاز هذا الامتحان.

ألقى "بيتر" بنظرة على الفتاة وقد راعه مدى تصميمها. متى راوده مثل هذا الإحساس القوي بشان اي أمر كان؟ هل تعطش إلى النجاح فقط أو قلق بشانه؟ أتاه كل شيء بسهولة ومنح كل شيء بما فيه المال والعلاقات.

منذ أن أصبحت شهادة تخرجه في جيبه كان ذلك كافيا لأن يفتح له مكتبا خاصا، حقيقة أنه قد واجه بعض الصعاب في عامه الأول لكن كانت لديه الأموال الكافية لمواجهة مثل ذلك الكساد أما الآن فقد أصبح في عداد أفضل مهندسي الوادي.

تساءل لماذا بدت حياته فجاة على هذا القدر من المال وكما لو كان ينقصها شيء ما أساسي؟ الأحرى به أن ينسى ذلك الآن.. فلم يزل ذهنه مرهقا بفعل تلك النزلة التي أصابته. ربما كان من الأفضل له أن

يمنح نفسه يوما إضافيا من الراحة ولكن –تنهد– الرجل المسؤول.. الرجل المسؤول.. ينبغي أن .. اختلطت الأفكار بذهنه.. باختصار شديد كان لديه عمل. فهذه هي الحياة (التي تزداد سوءا).

لكن لماذا.. لماذا تشتد رغبته في أن يبدي أعذاره إلى "كاليكو".. هل لأنه لم تكن به حاجة قط إلى أن يكون فرخا؟

*****

حيت "كاليكو" "بيتر" بإشارة من يدها وأجابها بضغطة على آلة التنبيه. تعمقت سيارته في سيل المرور واختفت فيه. ظلت "كاليكو" في مكانها فوق الرصيف لحظة دون حركة قبل أن تتقدم فوق الممشى. سمعت صوتا يصيح بها:

– أهلا "كاليكو". انتظريني!

توقفت الفتاة واستدارت حول نفسها ثم ابتسمت لذلك الشاب ضخم البنية الذي كان يعدو نحوها. ارتدى بنطلونا من الچينز وقميصا تائيا قديما بلون الزي الجامعي. كان بهي الطلعة بملامحه التي لم تزل طفولية وبشعره الأشقر المتموج الكثيف. بادرته بقولها:

– صباح الخير يا "ستيكس".

– صباح الخير يا حب عمري.

تقدما على الممشى وبذل "ستيكس" جهدا كبيرا لتقصير خطاه. قال:

– هيا! اعترفي لي! أين عثرت على هذا المليونير؟

– معذرة؟

– صاحب السيارة يا "كاليكو". لقد محتها. إنها مذهلة! عندما أصبح بطلا في كرة السلة سوف أشتري واحدة مثلها.

– مستحيل. ساقاك طويلتان أكثر مما ينبغي.

– أووه.. سوف أطلب تصنيعها وفقا لحجمي إذن حتى تشعر ساقاي

بداخلها بالراحة.

– فكرة هائلة!

– من هو؟

– جاري.. حاليا. اسمه "بيتر أندرسون". مهندس. التقيت به أمس عندما ظل راسي ملتصقا بكتفي.

قطب "ستيكس" حاجبيه ثم مالبث أن أومأ برأسه:

– بسبب الرداء التنكري؟

– نعم.

– نظراً لأنني أخ أكبر منك تقريبا فمن واجبي أن أحذرك يا "كاليكو". توخي كل الحذر من أولئك الشبان الأثرياء أصحاب السيارات الرياضية!

قالت ضاحكة:

– حسنا. لقد أديت واجبك نحوي.. يمكنك أن تعتبر أنني قد تلقيت التحذير اللازم.

– إنني جاد فيما أقول يا فاتنتي. إنك مكلفة برعاية شقة في "سكوتسديل" حيث يكثر عدد كبير من الأثرياء. صدقيني إن هذا المهندس الوسيم ليس من طبقتك.

– أرجوك. إنك لا تعرف عنه شيئا.

– ومع كل ذلك.. مثل هذا الشاب ليس لك.

فقالت:

– حسنا يا عزيزي! أرى أنه من واجبي إذن أن ألغي زواجي منه.

– هل أنت جادة فيما تقولين؟

– أنت الذي انحرفت بتفكيرك إلى حد بعيد يا "ستيكس". التقيت بـ"بيتر" أمس (وكدت أسقط مغشية علي). وهو شاب رقيق مهذب (ذو بنية من الدرجة الأولى وأهداب من أطول الأهداب التي رأيتها طوال حياتي. أوصلني اليوم بسيارته؛ لأن لديه أعمالا تتطلب الإنجاز

بهذا القطاع القريب من الجامعة، وهنا تنتهي الرواية باستثناء بضعة تفاصيل مخجلة مثل بهاء طلعته وتميز مظهره أو ربما عطر ما بعد حلاقته أو ذلك الانطباع الغريب الذي أحسته لدى مغادرتها سيارته عندما أحست بوهن شديد في ساقيها). لقد أطلقت على سمكة السيدة "وذرباي" اسم "هوميروس". سمكة حمراء مثلها تستحق أن يكون لها اسم. أو ما هو رأيك؟

أجاب "ستيكس" بنبرة استهجان:

– رأيي هو أنني منقاد إلى كل ما تقولينه لي. كنت عادة ما أجد صعوبة في متابعتك. أما الآن فأصبحت تفتحين أمامي باب فهمك وهذا ما يخيفني.

– إنك فاقد صوابك!

– هذا هو كل ما أردت أن أسمعك تقولينه يا ياسمينتي العزيزة.

– أووه.. اسمعني. فتحت مجلة أمام برطمان "هوميروس" هذا الصباح على صورة لقمم جبال تظللها الغيوم كنوع للتغيير من منظر الرخام الملون الذي يحيط بها من كل جانب.

– لقد أحدثت تغييرا جذريا في حالتها النفسية على الأقل.

– تعتقد ذلك؟ أرجو ألا يكون له أثر سلبي عليها.

عندما وصلا إلى أحد الأبنية قال "ستيكس" متوقفا أمامه:

– حسنا يا جميلتي. يتعين علي أن أدخل. لازلت موافقة بشأن هذا المساء؟ مستعدة لمساعدتي في الرياضيات؟

– بكل تأكيد. هل معك العنوان؟

– محفور بذهني يا صغيرتي الحبيبة. سوف أستعير سيارة "هوب هندرسون" يسمي هذا الحطام سيارة! ربما لأن لها أكثر من ثلاث عجلات وعجلة قيادة. لكنني أؤكد لك أنها لا تزيد على كونها حشرة تجري فوق عجلات. حسنا إلى اللقاء يا ياسمينتي الجميلة.

ابتسمت "كاليكو" بينما كانت تراقبه وهو يبتعد عنها لكن سرعان

ما حل تعبير أكثر جدية محل تلك الابتسامة.

كان "ستيكس" صديقا وفيا. قضيا معا أوقاتا طيبة منذ أن تعرفت إليه منذ ثلاث سنوات سابقة. لم يزل أمامه عام على إتمام دراسته الجامعية وإذا حالفه الحظ فسوف يلتحق بفريق محترف لكرة السلة.

يعتقد أناس كثيرون أنهما يخرجان معا. ولم تنف ذلك قط لأن ذلك كان أكثر مناسبة لها. لأنه لم يتوفر لديها الوقت لمثل هذه الأمور، لهذا لم تقدم على تصحيح معلومة ذلك أو تلك ممن أطلقوا على "ستيكس" لقب "صديقها الصغير".

– لكن الأمر المؤكد هو أن صديقتها "آبي" –التي كانت تستأجر حجرة بنفس المبنى الذي تقطنه هي– كانت على علم يقين بأن العلاقة التي بينهما لم تتجاوز نطاق الأخوة الصادقة. وكانت "آبي" هذه متيمة بغرام "ستيكس" دون أن يفهم هو ذلك حتى الآن.

تنهدت "كاليكو". كم أن الحياة معقدة. "آبي" تحب "ستيكس" و"ستيكس" يحب كرة السلة بينما يعتقد الآخرون أن "ستيكس" يحب "كاليكو" بينما لا تحب "كاليكو" أحدا في الواقع. تساءلت: وماذا عن "بيتر أندرسون"؟ من هي تلك التي سيحبها؟ يا إلهي! من أين أتت لها هذه الأفكار؟

نظرت إلى ساعة معصمها. أوشكت الدراسة أن تبدأ.

*****

اخترق "بيتر أندرسون" الممر الطويل المؤدي إلى مكتب الاستقبال الملحق بمنشأة "أندرسون" الهندسية. جلست من خلف المكتب سيدة مشغولة بمكالمة هاتفية. قطب "بيتر" حاجبيه. وبدأ يذرع حجرة المكتب الفخمة بخطوات قلقة رامقا المرأة بنظرات حادة دون أن تأبه هي بها أو تكف عن مواصلة حديثها الهاتفي. قال –مزمجرا بعد لحظة نفد فيها صبره–:

– "ميريام"... ضعي السماعة!

وكانت "ميريام" امرأة بدينة غطى الشيب العدد الأكبر من شعر رأسها. اكتفت بإبداء قدر من الضيق مواصلة حديثها على نحو طبيعي. قالت محدثة العميل في نهاية المكالمة:

– عظيم. لقد توافقت برامجنا أخيرا. سوف نقوم بتسليمك التصميمات يوم الثلاثاء المقبل بعد إجراء كافة التعديلات التي طلبتها عليها. سوف أحولها إلى "ميشيل" بمجرد أن أراه. وإذا عن له أي استفسار فسوف يتصل بك هاتفيا. شكرا لك يا سيدة "هاولت". سعدت لمحادثتك.. نعم.. وطاب يومك أيضا. إلى اللقاء.

وضعت السماعة وتوقف "بيتر" أمامها على الفور:

– "ميريام"!

فقاطعته بقولها:

– "بيتر أندرسون".. سوف تدفعني إلى الجنون. لو سألتني مرة أخرى عن درجة حرارة الجو بالخارج سوف أصيح مستغيثة منك بأعلى صوتي. بحجرتك مذياع مجهز بـ"استريو" عالي التقنية وبسماعة متميزة على كل من جانبي رأسك وهذا ما يسمح لك بالإصغاء والنشرة الجوية تجري إذاعتها مرة في كل ساعة.

– حولت لي مكالمة هاتفية يا "ميريام"! فأضعت علي بذلك نشرة أخبار الساعة الرابعة. اتصلي برقم خدمة الأرصاد واساليهم عن درجة الحرارة.

عقدت "ميريام" ذراعيها فوق صدرها الممتلئ ولم تغض طرفها.

– لا. لقد حفظوا نبرات صوتي وهذا ما ينطوي على السخرية والحرج معا. أرفض الاتصال بهم مرة أخرى خاصة وانني لا أعرف لاتصالي المتكرر بهم هذا سببا.

عبس وجه "بيتر" واضعا راحتيه فوق مكتب "ميريام". انحنى نحوها قائلا:

– إنني أطلب منك الاتصال بهم؛ لان درجة حرارة اليوم أكثر ارتفاعا منها بالأمس. وإنني مهتم جدا بمشكلات ضربات الشمس والجفاف و..

– ونسيت أنك تعمل بمكتب مكيف الهواء يا "بيتر"! والجو بحجرة مكتبك مناسب تماما ولا تعاني أي شيء باستثناء ذلك الشحوب المترتب على النزلة البردية التي كنت مصابا بها. صدقني يا عزيزي إنك متمتع بصحة جيدة جدا.

قال –صارا على فكيه–:

– لا أشعر باية صحة يا "ميريام". إنني في حالة من الضعف الشديد. الناجم عن نزلة برد شديدة الخطورة. رغم أنه من الواضح أن شدة مرضي تلك لم تحرك لك ساكنا.

– أنت الذي طلبت مني عدم إزعاجك.

– لا تلعبي باعصابي أكثر من هذا! كان يمكنك على الأقل أن.. لا! لننس أمر مرضي. ينبغي أن أعرف –اعني أريد أن أعرف– تسمعينني –أريد أن أعرف درجة الحرارة بالخارج. "ميريام" إنه أمر غاية في الخطورة. "ميريام".. لو كنت دجاجة بالحجم البشري ووجب عليك أن تركبي أوتوبيسا بعد قضاء ساعتين باحد متاجر "السوبر ماركت" لتفهمت أن حالة الجو من الممكن أن يكون لها تأثير خطير على صحتك.

فتحت "ميريام" عينيها عن آخرهما وفغرت فاها حتى تصغي إلى "بيتر". هزت رأسها برفق بعدما انتهى حديثه وأغلقت فاها.

– يا إلهي! لقد حولتك وساوسك من الصحة إلى حافة الجنون. كان ينبغي علي أن اتفهم حالتك. وكل ذلك وثيق الصلة بتلك الحساسية الملعونة التي أصابتك منذ تسع سنوات. اسمعني يا بني العزيز. لقد حان الوقت لان اقبض على زمام الأمور. إنك بحاجة إلى طبيب نفسي قبل فوات الأوان.. دجاجة بحجم بشري؟ سوف تنقلب حياة والدتك

رأسا على عقب إذا ما علمت بما أصابك.

ضرب "بيتر" المكتب براحته:

– يا إلهي يا "ميريام"! أووه.. هذا مؤلم.

اعتدل في وقفته وأخذ يتأمل يده التي أصابها الضرر قائلا:

– يبدو أنني قد أصبت مفصلا ما.

فتحت "ميريام" دليل أرقام الهاتف:

– سأحاول البحث لك عما هو أفضل والسبيل إلى ذلك بيدك وإن كنت لن أعرف مذاق الراحة حتى يتم علاج حالة الاضطراب الذهني التي تعانيها.. لا يمكنني التعبير عما أريد قوله لكن ليس قبل أن يتوقف عقلك عن أن يبدو مثل البيض المخفوق. مسكين يا صغيري. كم هذا محزن!

صاح "بيتر" فيها:

– هذا أكثر مما يحتمل يا "ميريام". أنت مفصولة من العمل هنا.

– صه إذن. لا يمكنني التركيز على ما أفعله. لابد أن يكون لكل من هؤلاء الأطباء النفسيين اختصاصه المستقل. وحالتك هذه تستدعي استشارة ما لا يقل عن عشرة منهم.

– "ميريام"!

رفعت رأسها نحوه. فقال مؤكدا كل مقطع من كلامه:

– لست فاقد الصواب. على الرغم من عملي بالقرب منك. أما عن الدجاجة ذات القامة البشرية.

– التي تستقل الأوتوبيس اعتقادا منها أنها في أحد متاجر السوبر ماركت.

– لا! إنها تركب الأوتوبيس بعدما تكون قد أنجزت عملها بالسوبر ماركت!

قالت متنهدة:

– إنني في غاية الأسف. سوف أحاول أن أتذكر ذلك مستقبلا. لن

هذه ليلتنا

أتركك أبدا يا "بيتر". لا تعتبر نفسك بمفردك.

مرر يديه في شعره ملتقطا نفسا عميقا ثم قال:

– غير معقول. تلك الدجاجة التي أحدثك عنها فتاة.. فتاة تتنكر في زي على هيئة دجاجة زمامه المنزلق له القدرة على الالتصاق بلا تردد. هذا هو عملها... ترويج منتج جديد أساسه لحم الدجاج. واسم هذه الدجاجة هو "كاليكو سميث". ترتفع درجة الحرارة بداخل ذلك الزي إلى حد غير محتمل ومن هنا جاء اهتمامي بنشرة الأرصاد الجوية. هل فهمت ما قلته؟

حنت رأسها بقدر طفيف:

– نعم كل هذه الضجة من أجل فتاة.. ومع ذلك ليست هذه هي المرة الأولى التي تعرف فيها مثل هذا الولع. لكن ينبغي أن أعترف بأنك كعادتك لا تفقد صوابك إلى هذا الحد. يا صغيري العزيز. "كاليكو سميث". كم هذا جميل.

ابتسمت الآن. وكانت قد وضعت مرفقيها فوق المكتب وشبكت أصابعها الممتلئة الجميلة.

– حدثني عن "كاليكو سميث" هذه ولا تخف عني شيئا.

– لا!

– ولماذا الرفض؟ ألم تفهم بعد كل هذه السنوات أنني أحبك كابن لي؟ ألم أصبح لك بمثابة الأم إلى حد ما منذ أن رأت والدتك التقاعد بفردوسها الصغير لتمارس لعب البريدج من الصباح حتى المساء؟ ألست أنا التي أشغل بالي بالتحقق من أن جميع أصناف الأدوية التي يتطلبها علاجك كاملة العدد وأن عددها اثنا عشر –لا أحد عشر ولا ثلاثة عشر – وأن عدد علب المناديل الورقية اثنتا عشرة وأنها سليمة كاملة العدد.

– كل هذا صحيح.

– ماذا إذن؟ حدثني عنها. "كاليكو". ياله من اسم جميل!

– "ميريام".. لن أخبرك عنها بشيء ولا كلمة واحدة. ولا قصة

واحدة. ولا شيء على الإطلاق! والسبب؟ أولا لأنك على علاقة حميمة بوالدتي لاعبة البريدج. تتحدثان معا هاتفيا كل أحد حتى السابعة وتواصلين حديثك معها بلا انقطاع حتى إنني دائما ما أتساءل: كيف لا تفتقرين إلى الأوكسيجين. وثانيا لأن "كاليكو" فتاة ولا شك في ذلك رغم أنني قد تعرفت إليها على شكل دجاجة. لكن ليس ثمة التباس في علاقتي بها والتي لا تتجاوز حدود الاهتمام بالجيران.. خاصة وأن وضع جوارها مؤقت لن يدوم طويلا.

– حدثني أكثر.

– هذا ما أحاول أن أفعله. اهتمامي بها.. إنساني فقط. ينبغي ألا تستجيبي لإثارة والدتي وألا تقتنعي بأن ثمة علاقة رومانسية ما تربطني بتلك الفتاة التي تُدعى "كاليكو"... لأنك سرعان ما سوف تتصورين "كاليكو" هذه طفلة رضيعة تغرد في ذراعي!

قالت بأسلوب حالم:

– أووه... كم هذا ظريف!

– "ميريام" إنني معتزم تماما أن أقع في الحب يوما ما وأن أتزوج وأنجب أطفالا. لكنني أؤكد لك أن هذه السلسلة من الأحداث لن تضع برنامجها والدتي بالاشتراك معك.

– هذا جميل يا صغيري.. وحتى ذلك الحين حدثني عن "كاليكو".

رفع "بيتر" ذراعيه نحو السماء قائلا:

– يا إلهي!.. هبني الشجاعة.

الفصل الثالث

في السابعة من مساء ذلك اليوم تمتم "بيتر" بلفظة ضيق وعاد لينظر من خلال عدسة (العين السحرية) باب شقته الخارجي للمرة الـ.... بعد العاشرة.

أصبحت تصرفاته غريبة مفتقرة إلى الذوق السليم فقد وصل به الحال إلى التجسس على جيرانه..

لا. لا.. لم يصل به الحال إلى هذا الحد من الحماقة فكل ما كان يرمي إليه هو الاطمئنان على أن جارته لم تعان شدة الحرارة إلى حد خطير يضر بصحتها.

ضرب "بيتر" الباب بقبضته ثم عاد يستلقي فوق مقعده حيث بدأت أصابعه تعزف فوق المسندين الجانبيين.

عنما عاد من عمله كان أول ما فعله هو أن حمل كوبا فارغا وذهب إلى باب جارته حيث قرعه بدعوى أن يطلب منها مقدارا من السكر لكن أحدا لم يجبه. ظل بعد ذلك يذرع المسافة ما بين باب شقته ومقعده بخطى قلقة.

أحس بإجهاد شديد على أثر تلك النوبة التي كانت قد أصابته وكان هذا القلق فوق قوة احتماله.

نهض ثانية متوجها إلى باب شقته. توترت أعصابه لأن الشخص الذي كان واقفا عند عتبة باب جارته كان طويل القامة جدا بحيث لم ير "بيتر" منه سوى ما بين ما تحت العنق والركبتين.

فتح "بيتر" الباب بقدر طفيف وكان كريما بحيث لم يحدث صريرا. سمع صوت القرع على الباب ثم صوت "كاليكو" المكبوح قليلا.

- تفضل بالدخول يا "ستيكس". سوف أعرفك بـ"هوميروس".

وأجاب العملاق بقوله:

- لا بأس. لكن لتنتبه هذه الـ"هوميروس" جيدا وإلا سحقتها؛ لأنك

لي أنا ولي وحدي يا حبيبتي الرقيقة.

ثم أغلق الباب ولم يستطع أن يسمع المزيد. اعتدل "بيتر" في وقفته ملتفا حول نفسه وقلبه يخفق بشدة.

لقد فاته أن يلاحظ عودة "كاليكو" ناهيك عن زيارة ذلك المدعو "هوميروس"؟ والآن رجل عملاق يحمل اسما رقيقا مثل "ستيكس" يعلن أنه المالك الوحيد السعيد لـ"كاليكو"! ما الذي تفعله "كاليكو" برجلين بداخل شقتها؟

قال محدثا نفسه بصوت عال:

- ليس هذا من شأنك!

لقد فعل ما رأى أنه واجب عليه بأن اطمأن على أن "كاليكو" قد اجتازت تلك الأيام التي فرضت عليها التعرض لدرجات حرارة عالية.

دخل مطبخه حيث ابتلع أحد أقراص الفيتامين "ج" وتناول خمسة وثلاثين سنتيليتراً من الحليب. ثم تساءل: هل تشرب هي مثل هذا القدر من الحليب أيضا؟

لماذا تشغل باله إلى هذا الحد؟ لماذا لا يمكنه نسيانها والتخلص منها؟ خاصة وأنها الآن بشقتها.. مع رجلين أحدهما يدعى "هوميروس" والآخر "ستيكس"!

ومع كل ذلك تبدو عليها علامات البراءة. التي لا تشبه من قريب أو من بعيد أولئك اللواتي يمكن لأي شاب التقاطهن من قارعة الطريق أثارت بداخله إحساسا بالرغبة في حمايتها.

كانت بجواره.. قريبة منه جدا ومعها رجلان أحدهما ينتمي إلى سلالة أشجار القرو العملاقة. ما الذي من الممكن أن يكون جاريا هناك؟ كانت "كاليكو" رقيقة جدا ضعيفة جدا مستأمنة الغير إلى حد كبير فقد سبق أن طلبت منه هو -وهو الرجل الغريب عنها تماما- أن يفتح لها الزمام المنزلق الملتصق بردائها التنكري.

أوما "بيتر" برأسه غيظا ثم التقط نفسا عميقا. دائما ما كان اتخاذ

القرارات المهمة لديه مسبوقا بتمرينات تنفسية. حمل وعاء يتسع لما يزيد على كيلوجرام من السكر وغادر شقته.

*****

كانت "كاليكو" بصدد تدوين سلسلة من الأرقام أعلى قطعة من الورق خافضة رأسها نحوها.

– مدهش يا "ستيكس"؟ بدأت تستوعب.

– لن أخبرك بالوقت الذي استغرقه حل هذه المسائل. إنها بمثابة لغة غير مفهومة بالنسبة لي. إنني أستعد للحصول على دبلوم في الرياضة البدنية يؤهلني للالتحاق بفريق الكرة الطائرة، ما فائدة كل هذه الحسابات بالنسبة لي؟ انتهينا أخيرا.. أووه! هذا الفيشار رائحته تشير إلى بدء نضجه.

– اسمعني. لا تحرقه مثل المرة السابقة. هز محتويات الإناء جيدا.

– إنني أهزها. إنني أهزها.

– أعدت "آبي" لنا فيشارا بالجبن. لذيذا جدا، هل تعلم أن "آبي" طاهية لا مثيل لها؟

– لم أفكر في ذلك قط لكن عندما قلت ذلك الآن.. نعم طعامها لا بأس به..

قالت –محدثة نفسها–: يا للمصيبة.. متى سيفهم أن "آبي" فتاة ممتازة؟ كانت جميلة شقراء الشعر جميلة العينين ذات قوام ممشوق يوجب على كل من يلتقي بها بالشارع من شباب أن يلتفت إلى الخلف حتى يستوفي اللوحة الفنية الرائعة، كل ذلك فضلا عن ذكائها الخارق. كان "ستيكس" يخرج –كلما سمح وقته بذلك– مع تلك الفرق التي تتدرب في مباريات الكرة الطائرة، وكان يعامل "آبي" كما يعاملها هي – "كاليكو" – ررر مثل شقيقة له لا أكثر. تمنت لو أنه يمكنها أن تمسك به وتهزه بالقوة التي يهز بها حبات الذرة حتى تصبح فيشارا لذيذا.

سمعت قرعا على الباب. قالت دهشة لكن مسرورة:

– "بيتر".. تفضل بالدخول. كيف حالك؟

ارتدى بنطلونا باللون الكاكي مع قميص صوفي حاكى لون عينيه القاتمتين. وكانت أهدابه الجميلة تزيد من سرعة دقات قلبها.

استطردت قائلة:

– تبدو بهيا. ما أعني قوله هو أنك لست شاحبا كما كنت بالأمس، تفضل بالدخول.

– معذرة.. آه نعم.. إنني.. شكرا لك.

كان قد نسي أن يتنفس. كم أن هذا مثير. نظرة إلى "كاليكو" إلى ابتسامتها المشرقة المرحة تفقده صوابه.

قال محدثا نفسه –وقد لاحظ عودة تنفسه إلى إيقاعه الطبيعي–: لننس كل هذا. فقد أتى إلى هذه الشقة في مهمة إنقاذ.. لينتزع "كاليكو" الرقيقة. من مخالب "ستيكس" العملاق وذلك المجهول المدعو "هوميروس".

جاء صوت رجولي من داخل المطبخ:

– زائرون؟ لا بأس. لدينا ما يكفي الجميع.

اقشعر بدن "بيتر" وهو يحدث نفسه: "يا إلهي! هذا المارق المستسلم لرغباته بلا حدود. الموقف خطير إذن".

أجابت "كاليكو" صديقها:

– إنه جاري "بيتر أندرسون". سوف أجري التعارف اللازم بينكما عندما تخرج من كهفك ومعك تلك التحف الصغيرة.

التحف الصغيرة؟ هكذا تساءل "بيتر" في صمت. قالت مبتسمة:

– حسنا. ما الذي يمكنني أن أفعله من أجلك؟

– آه... سكر. جئت إليك طالبا قدرا من السكر. إنني آسف لأن أكون قد عطلتك عن شيء.. مهم. يبدو عليك أنك مشغولة جدا.

– لا. لا مشكلة. عادة ما يستغرق منا ذلك الليل كله لكن

"ستيكس" بدأ يسرع الأداء تدريجيا، ينبغي أن يستمر في تحسين قدراته لكن - على ضوء ما رأيته منه هذا المساء- بدأت جهوده تثمر.

قال متمتما:

- يا إلهي... يا إلهي!

- معذرة؟

- آه.. لا شيء. أليس هنا شخص آخر؟

انفجرت ضاحكة واقشعر بدنه ثانية. قالت:

- "هوميروس" فقط. وهي شاردة الذهن في هذه الليلة. لابد أن الصورة التي بالمجلة قد هدأت أعصابها تماما.

قال "بيتر" بصوت واهن:

- هذا جميل.

- تفضل بالجلوس. يمكن لـ"ستيكس" وأنا أن ننال استراحة قصيرة ما بين الوصلتين.

- ما بين ماذا؟

- ما بين..

وهنا صاح "ستيكس" الذي دخل الحجرة مزهوا يحمل وعاء كبيرا:

- هيا إلى الكمال بذاته. التحف الصغيرة جاهزة! فيشار مدهش. لم تحترق حبة واحدة منه. مملح على أفضل وجه وممسوح بالزبد. صدقوني إنني أحيانا ما أدهش لهذا الإنجاز. أهلا بك! اسمي "ستيكس ستانلر".

وأجابه "بيتر" ناهضا:

- "بيتر أندرسون". سعيد جدا بلقائك. هل هذه هي التحف؟ حبات الفيشار؟

- نعم يا سيدي! أرى أنك كنت تتوقع ذلك بدليل أنك قد أحضرت معك وعاء!

فقالت "كاليكو" موضحة:

- لقد حضر طالبا قدرا من السكر. تفضلا بالجلوس. رائحته شهية.

سأحضر زجاجة صودا نشربها مع هذا العشاء الفاخر.

قال "ستيكس":

- أنا الذي سأحضرها. وسأحضر أطباقا أيضا. لا محالة من استعمالها فقد أكثرت الزبد.

- كنت أود أن تنضم "هوميروس" أيضا إلينا.. هذه الصغيرة المسكينة. أخيرا تمكنت هذه السمكة الحمراء..

- سمكة حمراء؟

- بالتأكيد. انظر بداخل البرطمان. أقدم لك "هوميروس".

صاح "ستيكس" -وقد عاد من المطبخ حاملا الأطباق والصودا:

- هيا! إنه احتفال كبير في هذه الليلة. للمرة الأولى طوال حياتي نجحت في حل عشر مسائل جبر دفعة واحدة بدون أخطاء. يا صديقي. أكاد أكون سعيدا. عندما أفكر في كل تلك الساعات وتلك الليالي الطويلة التي قضيتها مع هذه المسكينة "كاليكو" حتى تدخل كل هذا في رأسي ينتابني الخوف من جديد. أعتقد أن من اخترع علم الجبر إنسان سوداوي.

انفجر "بيتر" ضاحكا وظل يضحك حتى كاد أن يختنق. امتلأت عيناه بالدموع وأصيبت ذراعاه بتقلصات عضلية عصبية. راقبه "ستيكس" و"كاليكو" دهشين ثم همس "ستيكس" إليها قائلا:

- إن مهندسك هذا أبله.

- ليس مهندسي. ثم لا تكن مبالغا. فالناس من الوسط الذي ينتمي "بيتر" إليه لابد أن يكون لهم.. نوع آخر من الفكاهة مختلف عما نتذوقه. واضح أن شيئا غريبا ما قد حدث هنا ولم يلاحظه أي منا.

فقال "ستيكس":

- ربما. أفهم ما تريدين قوله وإن كان يدعو إلى الكآبة. أليس كذلك؟ فهو يعني أنه ليس باستطاعتنا أن نضحك مثل الأغنياء. ينبغي أن أحتفظ بذلك في ذهني للاستفادة به عندما أصبح شخصية مهمة.

– لا بأس.، وأمامك متسع من الوقت خاصة وأن ذهنك المكتئب مشغول بمادة الجبر المقررة عليك. لكن ألا ترين أن له ضحكة عذبة عميقة ورجولية؟

قال متنهدا:

– هذا الرجل ليس لك. ترين بنطلونه وقميصه ؟ تفوق قيمتهما ثمن سيارة "هوب".

– أي شيء في العالم يفوق ثمن هذه الحشرة المتحركة! لكنني فهمت ما تريد قوله. إن "بيتر" ليس من طبقتنا.

– تفوقين أيا من كان على هذا الكوكب مقدارا. كل ما هناك أنه توجد أماكن عامرة بالأبطال وأخرى مليئة بغير ذلك. لكن سيأتي اليوم الذي تصبح فيه أنت وأنا منتميين إلى أرفع الفئات لكن في الواقع...

–حسنا حسنا. فهمت. أشعر بأن النوبة قد هدأت.

قال "بيتر" –واضعا إحدى يديه على صدره–:

– آه يا إلهي! لقد أفرغت رئتي تماما وأجهدتهما. إنني أرجوكما أن تسامحاني. ليس هذا التصرف من صفاتي المعتادة. لكنني لا أذكر أنني قد ضحكت طوال حياتي مدة أطول. أشعر بأنني في كامل صحتي لكن ما فعلته هذا كان تجاوزا لحدود الأدب. لهذا أرجوكما أن تسامحاني.

فقال "ستيكس" مبتسما:

– لا مشكلة. لم نفهم ما هو الشيء شديد الغرابة الذي أضحكك، لكن لا أهمية لذلك الآن.

فقال "بيتر":

– أرى أنه من الأفضل ألا أخبركما بسبب هذه النوبة من الضحك التي انتابتني.

فقالت "كاليكو" –وهي تتناول ملء قبضة من الفيشار:

– كما ترى. مذهلة. أفضل ما صنعته يا "ستيكس". "بيتر".. تفضل.

حنى "بيتر" رأسه إلى الأمام ونظر بداخل الوعاء ثم قال:

– شكرا لك لكن لا يمكنني تناوله. سمعتكما تتحدثان عن إضافة الزبد إليه. والزبد غني جدا بالكوليستيرول وبالدهون أيضا. وقد تناولت حصتي منها لهذا اليوم.

سأل "ستيكس" متحيرا:

– ماذا؟

فأجابته "كاليكو" ناظرة إلى ملء قبضتها من الفيشار والذي احتفظت به في يدها المفتوحة:

– يتحدث عن الكوليستيرول والدهون التي يحتوي الزبد عليها. كثر القول حول هذا الموضوع بالصحف لكنه لم يلق مني أي اهتمام.

فقال بنبرة بالغة الجدية:

– ينبغي أن تهتمي بهذا الأمر يا "كاليكو" فهو خطير جدا.. قد تصابين به قبل أن تنتبهي إليه. ثم تنتقل آثاره إلى القلب. أمر مخيف! ولمقاومة مثل هذه الآثار أضفت إلى نظامي بعض الأشياء مثل النياسين على سبيل المثال. سوف أعطيك قائمة بأسماء تلك المواد.

قال "ستيكس" –مزمجرا بينما كان يتناول المزيد–:

أمر غريب!

واستطرد "بيتر" قائلا:

– كنت قلقا عليك. كان الجو حارا اليوم أشد حرارة من الأمس. وكنت أعلم أنك سترتدين ذلك الزي التنكري.

– شكرا لك يا "بيتر". هذا ظرف منك. شعرت بارتفاع شديد في درجة الحرارة بالفعل. كان الرداء أشبه بموقد شديد الحرارة. ولحسن الحظ فإن هذا اليوم كان الأخير الذي أرتدي فيه هذا الزي.

ركزت نظرها على وجهه أثناء الحديث وتلاشت الابتسامة التي كانت –على وجهها إذ إنها أحست وكان عينيه تسلبانها أنفاسها.

قال –دون أن يحول بصره عن وجهها–:

– عظيم. لأن درجات الحرارة لن تكف عن الارتفاع بل سوف تزداد تدريجيا في الأيام المقبلة.

حدثت نفسها بأن الجو سيكون باردا مثل هذه المشاعر التي تسيطر عليها. خفق قلبها بشدة كما لو كان سيقفز إلى خارج صدرها وأحست بأن نظرات "بيتر" تجتذبها نحوه وأنها أصبحت على وشك الإذعان بل وراغبة في أن تذعن إلى ندائه فتجد نفسها بين ذراعيه. كان أثره عليها مزعجا جدا ومدهشا جدا ومخيفا جدا.

ركز "بيتر" بصره على عيني "كاليكو" محدثا نفسه بانهما في مثل زرقة سماء الصيف وحبات الياقوت الأزرق. وبلون ذلك الشراب الذي يتناوله كل مساء وأن هاتين العينين الجميلتين تجذبانه إليهما بشدة وتنفذ نظراتهما إلى قلبه. ما الذي استطاعت هذه المرأة أن تفعله به؟

نظر "ستيكس" إليهما الواحد تلو الآخر ثم عبس وجهه فجأة ثم قال بصوت يكفي لإيقاظ كتيبة كاملة:

– الفيشار سوف يبرد.

تنبه كل من "كاليكو" و"بيتر" وضاع سحر اللحظة بينما استطرد "ستيكس" قائلا:

– انتهت فترة الاستراحة وحان وقت استئناف درس الجبر.

هب "بيتر" واقفا:

– ينبغي أن أمضي.

رمقت "كاليكو" "ستيكس" بنظرة خاطفة ثم نهضت. قالت:

– سوف أذهب وأحضر لك السكر.

– الـ... ماذا؟ آه.. نعم.. ما أعنيه هو.. نعم.. أنا حضرت إلى هنا لأحصل على قدر من السكر.. أليس كذلك؟

أسرعت "كاليكو" متوجهة إلى المطبخ بينما توجه "بيتر" إلى الباب يغمره إحساس بأن "ستيكس" يسير في أعقابه خطوة خطوة..

وجد نفسه في موقف عصيب وأتت "كاليكو" لحسن الحظ لتخلصه

منه. قال:

– شكرا جزيلا.

– أهلا وسهلا بك يا "بيتر".

وضع "ستيكس" ذراعه على كتف "كاليكو" وجذبها إليه ثم مد يده إلى "بيتر" قائلا:

– إنني سعيد بلقائك يا "أندرسون".

ثم ضغط على يد "بيتر" بشدة مستطردا:

– "كاليكو" وأنا نرحب بالصحبة. أليس كذلك يا باسمينتي؟ هيا إلى اللقاء يا "بيتر".

حاولت "كاليكو" الابتعاد عن "ستيكس" لكنها كانت على علم تام بأن جهودها ستذهب سدى لذلك قالت:

– تصبح على خير يا "بيتر".

غادر "بيتر" الشقة وأغلق بابها برفق من خلفه.

أرخى "ستيكس" قبضته على الفتاة وابتسم فصاحت في وجهه واضعة قبضتيها على جانبي خصرها:

– إنك وغد! ما الذي كنت تعنيه بقولك "كاليكو" وأنا..؟ كنت ترى أن يظن أننا... "ستيكس ستاتلر" كنت ساحطم رأسك لو لم تكن بهذا الحجم الكبير.

أجابها متنهدا:

– اهدئي. لقد لعبت ببساطة تامة دوري كأخ أكبر لك. كان من واجبي أن أعمل على حمايتك. لابد أنك قد رأيت النظرات التي كان يرمقك بها. ماذا كانت تقول؟ آه.. أسعفيني! ... نظرات تنطق بالشهوة... نظرات كريهة.

– كريهة وتنطق بالشهوة؟

– نعم.

فتحت فاها حتى ترد عليه لكنها أغلقته ثانية. كف "ستيكس" عن

الابتسام عندما رآها رافعة كتفيها. قال:

- أكرر لك أنه ينبغي ألا تقتربي من هذا الرجل؛ لأن التعامل معه لن يعود عليك إلا بالمشاكل.

قطبت حاجبيها:

- لابد أن يكون المبنى كله قد سمع ما قلت.

فقال بصوت أكثر ارتفاعا:

- لا أبالي. وسأكف عن هذه اللامبالاة عندما أتوصل إلى ما قد أصاب عقلك الصغير هذا. هيا بنا ننتهي من تناول الفيشار ثم نستأنف الدرس.

قالت فجأة -إثر دخولهما حجرة الاستقبال:

- لا رغبة لي في هذا الفيشار. قررت خفض ما أتناوله من الأطعمة المحتوية على الكوليستيرول.

نطق "بيتر" بلفظ كفيل باستبعاده من جميع فرق الكرة الطائرة.

*****

حلم "بيتر" في تلك الليلة بشخص ما يطارده في غابة من الأشجار العملاقة التي تناثرت فيها السيقان والأذرع البشرية. عدا مسرعا فأصابته الأشواك ببضعة تسلخات عندما انزلقت قدمه في قناة تصريف المياه، وفي تلك اللحظة فتحت السماء فجأة فأسقطت أمطارا غزيرة من حبات الفيشار المغطاة بالزبد.

الفصل الرابع

عندما استيقظت "كاليكو" في صباح اليوم التالي علمت على الفور أنها لم تكن على حالتها المعتادة.

تثاءبت وتمطت مقاومة النعاس. أحست بكثير من الأشياء مثل الكآبة كما كانت جدتها تقول.

تذكرت تلك الجدة الغالية. فعلى الرغم من أنها كانت قد توفيت قبل عامين إلا أن "كاليكو" أحست بحزن شديد عليها كما لو كانت قد توفيت بالأمس فقط. فهي تلك المرأة الرقيقة المحبة التي كانت قد تولت تنشئتها.

لم يسعد جدتها أن تعلم أنها تعاني تلك الحالة. كانت تقول لها: "انظري إلى داخل نفسك وتعرفي على ما يسبب لك الاضطراب، وإما أن تعالجيه أو تقبلي الوضع على ما هو عليه. لكن ابتسمي. هل تسمعينني يا "كاليكو".. ابتسمي!".

تنهدت "كاليكو". لم تجد لها رغبة في الابتسام على الإطلاق. سوف تربت جدتها كتفها كما كانت تفعل سابقا حتى تراها مرفوعة الرأس.

قالت -مخاطبة الحجرة الخالية-:

- حسنا.. لا بأس. يا آنسة "سميث" ما هي مشكلتك؟

أحست بالوحدة.. وحدة قاتلة.

كانت بمفردها.. ثم ماذا. كان لها هدف في الحياة.. رسالة ما.. لم تترك لها من الوقت ما يسمح بالتجديد. كان كل وقتها مشغولا بالعمل والدراسة وبعض الصداقات المحدودة جدا. كانت على علم تام بكل ذلك ولكن.. أحست بوجود فراغ مؤسف في حياتها.. نقص لم تتوقع وجوده قط.

انكمشت حول ذاتها. همس صوت خافت بذهنها: رجل.. شخص

ما يمكنه أن يكون قريبا منها على مر الأيام السعيدة والحزينة على حد سواء. شخص ما يمكنها أن تضحك معه وأن تبكي فوق كتفه يشاركها النجاح والفشل.

شخص ما تحب منه القلب والروح والجسد ويبادلها هو عمق هذا الحب.

توترت "كاليكو" فجأة فقد ظهرت أمامها صورة "بيتر أندرسون" بوضوح تام وعن قرب شديد بحيث كان يمكنها أن تلمسها. بدا لعينيها بهيا وسيما رشيقا بنظرة عينيه الداكنتين ومنديله بيده.. كان "بيتر أندرسون" مبتسما لها.

نهضت مسرعة تفرقع بأصابعها حتى تختفي تلك الصورة الوهمية.

- اذهب.. اذهب... ابتعد من هنا اختف من أمامي يا "بيتر أندرسون"! ليس لدي وقت أخصصه لك. ثم إنك لست الشخص الذي يناسبني لأننا مختلفان تماما. اخرج من رأسي!

رفضت الصورة أن تتحرك.

تقدمت "كاليكو" ببطء نحو الفراش وفتحت حقيبة ملابسها حيث أخرجت منها بعض الملابس الداخلية وبنطلونا قديما وقميصا باللونين الأحمر والأبيض ثم أسرعت إلى الحمام حيث أغلقت بابه عليها.

أخذت تردد -تحت وابل المياه الساخنة- : إنها قد فقدت صوابها. إذ كانت تتصرف وكأن "بيتر" كان معها بداخل الحجرة يرمقها بتلك النظرات الشهوانية الكريهة اقتباسا لوصف "ستيكس" المسكين لتلك النظرات. لا.. كان يبتسم لها ببساطة وبرقة وحنان. أصبح من الواجب عليها أن تهدأ.

جففت جسدها بالمنشفة الكبيرة وأخذت تردد الدرس أثناء ارتداء ملابسها.. لم تكن وحيدة.. فلم يكن ذلك هو الوقت المناسب لأن ترتبط بعلاقة جادة مع رجل. ستحين الظروف في الوقت المناسب. أما عن "بيتر" هذا فمن الأفضل لها أن تكف عن التفكير فيه.

وإذ تسلحت "كاليكو" بهذا القرار الحاسم ارتسمت على وجهها ابتسامة كانت ترضي جدتها العجوز الطيبة. تناولت فطورها وأعدت حقيبة يدها ثم أطعمت "هوميروس" الشجاعة. قررت أن تعطيها في ذلك اليوم الحق في مشاهدة منظر طبيعي تمايلت فيه أعواد الذرة في حقولها تحت وطأة العاصفة وظهرت فيه بعض زهور الخشخاش بألوانها الحمراء المتدرجة.

ابتسمي..

لكن ما إن دخلت المصعد حتى تلاشت الابتسامة من وجهها إثر لقائها بنظرات.. "بيتر أندرسون". قالت متخبطة وقد ركزت بصرها على عقدة رابطة عنقه-:

- أووه.. حسنا... شكرا.

بادرها بقوله على نحو فوري:

- "كاليكو" هل تحبين شجرة عملاقة.. أووه... أعني "ستيكس"؟

ثم قال -محدثا نفسه في صمت-: ما هذا؟ أمر يبعد كل البعد عن التصديق. أنا الذي طرحت عليها هذا... هذا السؤال غير المعقول؟ لم يكن أيضا مدركا أن تفكيره قد اتجه إلى نوع العلاقة التي ربطت ما بين "كاليكو" وهذا المخلوق الغريب. ما الذي أصابه؟ هل هذا راجع إلى الإفراط في تناول الفيتامين "ب" أم أنه نقص في الفيتامين...

قالت مرددة -وهي تتأمل وجهه-:

- تسأل عما إذا كنت أحب "ستيكس"؟

رأت أن تجيبه بالإيجاب حتى إذا ما اعتقد "بيتر" ذلك -أسوة بسائر زملائها بالجامعة- فإنه سوف يبتعد عن طريقها. وسيختفي بعيدا عن أنظارها وبعيدا عن ذهنها وبذلك لن يكون هناك مثل ذلك الظهور الصباحي الذي شهدته اليوم. لكنها سرعان ما سمعت نفسها تجيبه:

- لا.

- لا؟

– صلتنا وثيقة جدا فنحن صديقان حميمان ولا شيء أكثر من هذا.

قال "بيتر" محدثا نفسه: عظيم وأحس بارتياح شديد إذ كان ذلك ما تمنى أن يسمعه.. لكن لا.. فقد كانت تلك الإجابة بمثابة كارثة في الواقع.

لأن جزءا آخر من ذاته لم يتفهم بل بالأحرى لم يرغب في أن يتفهم ذلك الصدى للسعادة الغريزية التي غمرته تماما والتي كانت –بمثابة– رد فعل كشف عن إحساس آخر هو الخوف. الخوف من أن يعرف أن "كاليكو" ليست على علاقة عاطفية بأحد.

لكن ما هو سبب ذلك؟ وما الذي يخشاه؟ هل لأنه في كل مرة يكون فيها مع "كاليكو" يظل قلبه يخفق بشدة لا تهدأ وأنه يتصرف في وجودها مثل طالب يواجه أول مغامرة عاطفية له؟ أم أن هذا راجع إلى شدة الرغبة التي تسيطر عليه بمجرد أن تلتقي نظرته بعمق عينيها الزرقاوين؟

كان قلقا بحق على "كاليكو" عندما علم بأنها كانت تعمل تحت مثل هذا الارتفاع في درجات الحرارة وهي بداخل زيها التنكري الثقيل. كما أسرع إلى بابها بكل حماقة لمجرد ارتيابه في أن "ستيكس" و"هوميروس" قد يسيئان إليها. وحلم بها ليلا. وظل يفكر فيها طوال اليوم.

دفعته إلى الجنون... ينبغي أن يتوقف كل هذا. "كاليكو" فتاة جميلة شديدة الجاذبية ونضرة مثل صباح أحد أيام الربيع، لكنها لم تكن من ذلك النوع من النساء المناسب له، فهي لا تطابق المواصفات التي أرساها لتتوفر في المرأة التي يقبل على الزواج منها. لذلك أصبح لزاما عليه أن يتخلص من ذلك السحر الذي تمارسه عليه بطريقة أو بأخرى.

قالت:

– "بيتر".. لو تركت إصبعك فوق هذا الزر لن يغلق الباب أبدا.

– ماذا؟ آه.. نعم.. نعم... بالتأكيد دراستك تبدأ مبكرا هذا

الصباح؟

– لا. ليست عندي دراسة اليوم. لكنني ذاهبة إلى المكتبة حيث أعمل ثم وفي الحادية عشرة أعطي درسا خصوصيا لأحد الطلبة وهذا من بين الأعمال الصغيرة التي أزاولها. ما هو سبب سؤالك إياي بشأن "ستيكس"؟

– لأنني.. اسمعيني... لماذا لا نذهب ونتناول قدح قهوة معا بأحد المقاهي؟ وسوف أصحبك إلى وجهتك.

– لماذا؟

– لماذا؟ لأن القهوة هي المشروب الذي يتناوله العدد الأكبر من الناس صباحا. لكنني أحدد استهلاكي منها في قدحين فقط يوميا ولم أتناول اليوم سوى قدح واحد في هذا الصباح وبذلك...

قاطعته مبتسمة:

– حسنا نتناول إذن قدحي قهوتنا معا. لكنك لم تجبني بشأن موضوع "ستيكس" كما تعلم. هل السبب راجع إلى مجرد أنك رجل مترفع؟

رمقها بنظرات القلق وأخيرا، رفع إصبعه من فوق الزر وضغط زر الطابق الذي تحت الأرض وبذلك تجدد لها مشاهدة "بيتر" وهو يسرع نحو سيارته والمنديل الأبيض يغطي وجهه. لم تمض بضع لحظات حتى كانا قد سلكا طريق "سكوتسديل".

عندما توقف أمام الإشارة الضوئية الحمراء راته يضغط ما بين حاجبيه بإبهامه. قال:

– صداع نصفي راجع إلى التوتر العصبي. إنني أعاني التوتر يا عزيزتي.. تتصورين ما قد فعلته بي يا "كاليكو"؟

صاحت –رافعة يدا إلى صدرها–:

– أنا؟ أنا السبب في هذا الصداع الذي تعانيه؟

– نعم. نعم.

– أمر غريب جدا. لم أفعل بك شيئا بالذات. وإنني قانعة بالانشغال بشؤوني الخاصة.. وعدم الانحراف عن أهدافي الشخصية. وهذا كل ما في الأمر.

تغير لون الإشارة الضوئية وانطلق "بيتر" بسيارته ببطء.

– هذا صحيح تماما.. ولا يمكن التعبير عنه بأسلوب أفضل. والواقع هو أنك أنت بعدم انحرافك عن أهدافك وعن شخصيتك ما يدفعني إلى هذه الحالة. ربما وجب علي الالتجاء إلى التأمل أو تعلم اليوجا للضغط العصبي نتائج وخيمة جسدية ونفسية على حد سواء. وأريد أن تعلمي أنني لا أحب ذلك إطلاقا.

عقدت يديها فوق صدرها وتنهدت بعمق. قالت:

– هذا الحوار أكثر هزلا من أي حديث سمعته في حياتي. لا ،انس ما قلته هذا. لأنه ليس حوارا أساسا في ذلك؛ لأنني أرفض أن أجيب بكلمة واحدة على ادعاءاتك ولأن هذا الحديث لا معنى له على الإطلاق.

قال –بصوت أقرب إلى الزمجرة–:

– همم.. أرى قاعة شاي هناك.

لم يتبادلا كلمة واحدة حتى اتخذا مكانيهما وأخبر النادلة بالمطلوب فسألته بهدوء تام:

– ألم يخطر ببالك يا سيد "أندرسون" أنني ربما لا أحب هذا الصنف؟

فأجابها:

– إنه مفيد لك جدا. يعلم الله أنك بحاجة إلى تناول طعام صحي. بعد ذلك الفيشار الغارق في الزبد الذي تناولته في الليلة الماضية.

رفعت "كاليكو" عينيها نحو السماء وعندما وضعت النادلة الطبق المطلوب أمامها دفعته بعيدا عنها على الرغم من شكله الشهي أما "بيتر" فتناول طعامه دون أن يشغل ذهنه بها ثم شرب قهوته.

قال بنبرة رقيقة:

– "كاليكو".. لدينا مشكلة. أعني أن عندي مشكلة خطيرة.

سألته –مطوقة قدح قهوتها بيديها–:

– من أي نوع؟

– سأخبرك. لسبب لا أعلمه أرى نفسي مشغولا بك جدا. لا أكف عن التساؤل عما إذا كنت بخير وعما تفعلينه؟... وما شاكل ذلك من هذه الأمور.

أحست "كاليكو" بقلبها يقفز سعيدا لكنها سرعان ما عاتبت نفسها على التجاوب معه على ذلك النحو.

– لا يبدو أن هذا يروق لك تماما ولهذا تصفه بأنه مشكلة. إنني... أعني أنه يحدث لي أيضا أن أفكر فيك كثيرا يا "بيتر". وأنت محق في رأيك. فهذا مثير للضيق إلى حد كبير.

قال –على نحو مفاجئ–:

– مثير للضيق؟ التفكير في يثير الضيق! شكرا جزيلا! ليكن معلوما لك يا "كاليكو سميث" أنني رجل مستقيم جدا و.. محترم جدا. تكادين أن تكوني فظة.

– ليس أكثر منك بعدما أخبرتني بأنني مشكلة بالنسبة لك. "بيتر" ليس هذا أفضل ما نبدأ به يومنا. أريد أن أرحل.

فقال:

– لا.. إننا بحاجة إلى أن نجد حلا لهذه المشكلة.

– حسنا..وما دمت مصمماً أقدم إليك طبق فطوري.

– لننس هذا أرجوك! اسمعيني يا "كاليكو".. لقد اعترفنا لتونا بأن كلا منا.. أعني أن كلينا... ما أعنيه هو أن كلينا كثير التفكير في الآخر. ولا غبار على ذلك لو..

فقالت –بنبرة رقيقة هادئة–:

– لو عرف كل منا حدوده. أولا لأنك رجل وأنا امرأة.. أما عن الباقي

فهو بمثابة كارثة. فمن الناحية الاجتماعية سيكون الأمر بمثابة اختلاط مشروب أرستقراطي بآخر شعبي. "بيتر" إننا منتميان إلى عالمين مختلفين تماما وقد تفهمت هذا الوضع جيدا.

– لا. لا. أمهليني قليلا. ينبغي أن أعترف لك بانه بمجرد أن وقع بصري عليك علمت على الفور أنك لست من طبقتي ولا أنا من طبقتك. لكن الأسلوب الذي عبرت به عن هذا الواقع لم يرق لي على الإطلاق. قلت: إنني مترفع وهزلي علي حد سواء. سامحيني يا "كاليكو" فلست مشكلة.. بل إنك تحدٍ وتجربة... وشيء جدي تماما بالنسبة لي.

– "بيتر".

وضع يديه فوق يدي "كاليكو" لكن عندما نظر إلى وجهها بهتت ابتسامته.

بذلت "كاليكو" جهدا كبيرا حتى تتمكن من ابتلاع لعابها إذ بدا لها أن شيئا كبيرا زاحم حلقها. أحست بكآبة بينما سرت في جسمها قشعريرة على أثر تلامس يديها مع يدي "بيتر" القويتين. ثم ماذا.. يا إلهي! لقد أخذ يداعب يدها بإبهامه. حاولت إقناع نفسها بان تلك لا تعدو كونها حركة آلية لكنها استساغتها إلى حد بعيد مع كل ذلك، وكانت على وشك التجاوب بل على وشك الاستسلام أيضا.

قررت استعادة يديها من متناول يده وأقدمت على أن تفعل ذلك.. وسوف تفعله في غضون دقيقة واحدة. قررت أيضا أن تكف عن النظر إلى عينيه اللتين تحولتا إلى الجدية الأقرب إلى الحزن فجاة وإلى العمق الشديد بحيث كادت أن تغرق فيهما. ينبغي عليها أن تفعل ذلك.. لكن بعد دقيقة أخرى. وينبغي عليها أيضا أن تنسى تلك المشاعر الغريبة التي أثارتها كلمات "بيتر" الأخيرة بداخلها.

برفق شديد مشوب بالندم سحبت "كاليكو" يديها مشبكة إياهما فوق ركبتيها. وحولت نظرتها بعيدا عن عينيه مرورا بذقنه الذي رأت

فيه جمالا رجوليا مكتملا ثم بعرض منكبيه. قالت:

– "بيتر" لا أعلم إلى أين ستقودنا هذه المناقشة لكنني لست على استعداد لان أكون تحديا أو تجربة. إنك –وباسلوبك شديد التهذيب هذا– تساوي بيني وبين صنف جديد من الطعام تريد أن تجربه باحد المطاعم. لماذا لا تنتهي من تناول ما تبقى بطبقك حتى نرحل عن هذا المكان؟

– لا يا "كاليكو". الوضع غاية في الأهمية. لم أتاثر بفتاة من قبل كما تاثرت بك. أريد أن أعرف سبب ذلك وإلى أين أنا ذاهب؟

قالت –وقد طرفت بعينيها–:

– لست نوعا جديدا من الفيتامينات تريد أن تجربه يا "بيتر أندرسون" كفاك إهانة لي.

– ليست في هذا إهانة بل انبهار. ألست أنت أيضا راغبة في أن تعرفي أسباب تفكيرك في يا "كاليكو"؟

حدثت نفسها: نعم.. بكل تاكيد. كانت تواقة إلى أن تعرف كل شي عنه لكنها لن تقدم على طلب ذلك. انحنت نحوه ونظرت إليه مليا ثم قالت:

– كان "ستيكس" محقا. ترمقني بنظرات شهوانية.. نهمة.

قال مدافعا بحرارة:

– لا! هذا الذي تريته في عيني هو رغبة لا شهوة ولا نهم.. كما يقول ذلك المثقف لاعب الكرة الطائرة. إنك امرأة صارخة الجاذبية يا "كاليكو" امرأة نضرة ظريفة مفعمة بالحيوية. لم ألتق بفتاة مثلك طوال حياتي.

لزمت "كاليكو" الصمت التام فاستطرد قائلا:

– لا باس. رسمت بذهني صورة للمرأة المثالية التي يتعين علي أن اختارها زوجة لي. لكنني رجل مرن الطباع. لا أريد أن تختفي من حياتي قبل أن أعرف ما يمكن أن.. اسمعيني. إنني واثق بانك تتمنين

أن تعرفي تلك الإجابات أكثر مني.

قالت بنبرة فاترة:

– ما أتمناه يا "بيتر" هو أن أصبح محاسبة قانونية. هذا هو هدفي الوحيد الآن. تعبت كثيرا وعملت طويلا من أجل تحقيقه وأصبحت قريبة منه جدا ولن يستطيع إنسان –أي إنسان في الوجود– أن يحول بيني وبينه.

– بالتأكيد.. بالتأكيد... أعلم أنك..

– اصمت لحظة! ليس لدي الوقت لبحث أمر علاقة ما مع رجل أو لأن أتساءل كما تفعل أنت عن سبب وكيفية الاهتمام الذي شعرت به نحوك لحظة؛ لأن هذا لن يؤدي بنا إلى أي شيء. عالمانا مختلفان تمام الاختلاف ومن كافة النواحي.. هذا ما أريد أن أؤكده لك.

– هذا غريب.

– لا يا "بيتر".. لست أشبهك في أي شي. كان كل شيء سهلا أمامك دائما. كلما أردت شيئا كنت تحصل عليه. وهل لم يخطر ببالك أنني اقتحمت حياتك في لحظة معينة.. في لحظة كنت فيها متضايقا جدا؟ كنت بحاجة إلى التغيير إلى شيء جديد في حياتك لهذا قررت أن تسعى إلى الانحراف عن مسارك المعتاد مع دجاجة غريبة. لا. شكرا لك لأن هذا لا يناسبني.

أجابها مقطبا حاجبيه:

– إنك تخلطين بين الأمور. من يسمعك يعتقد أنني قد قررت التسلية من أجل كسر روتيني اليومي. لقد جانبك الصواب في ذلك لأنني كنت جادا في كل ما قلته لك.

– مثلي تماما. وإلى هنا تنتهي القصة. وينبغي الآن أن أتوجه إلى عملي. لو كنت تفضل إكمال وجبتك ساستقل الأوتوبيس.

– "كاليكو"! إنك مجحفة. لماذا كل هذا العناد؟

– عناد؟ لست عنيدة. إنني أحاول توفير حياة كريمة لي فحسب،

أفعل ما ينبغي علي القيام به للوصول إلى أهدافي. وهذا ليس سوى واحد من الفروق العديدة التي بيننا. كف عن الحكم علي دون أن تتصور نفسك في مكاني يا "بيتر". محور الموضوع هو –بوضوح كامل– أنك لم تخض تجارب مثل تجاربي!

وإذ قالت ذلك نهضت ثم استطردت بنبرة هادئة:

– لقد سعدت بمعرفتك. ليس لدي ما أقوله بعد الآن. سوف أغادر هذا المكان وأستقل الأوتوبيس. حاول ألا تتسبب في مشهد هزلي. هكذا أفضل بكثير. أن ننتهي قبل أن نكون قد بدأنا بحق. إلى اللقاء يا "بيتر أندرسون".

واستدارت مغادرة قاعة الشاي.

راقبها "بيتر" وهي تبتعد عن المكان. بحث في جيب قميصه الداخلي حيث أخرج منه تلك الريشة الصفراء التي كان قد وجدها على الأرض في ذلك اليوم الذي كانت "كاليكو" قد أتته فيه في زي دجاجة.

فرك الريشة ما بين إبهامه وسبابته دون أن يحول بصره عن الاتجاه الذي كانت "كاليكو" قد أخذته وبعد ذلك أعاد الريشة إلى مكانها بجيبه.

ارتشف قدرا من قدح قهوته وعندما أعاده إلى المنضدة ابتسم.

الفصل الخامس

قالت "كاليكو" مخاطبة صديقتها-:

- هذا هو كل شيء يا "آبي" غادرت قاعة الشاي ثم.. ثم لازمني إحساس بالتعاسة طوال اليوم دون أن أفهم لذلك سببا. ومع ذلك لا يبدو الأمر لي وكأن علاقة ما كانت بيني وبين "بيتر" وافترقنا. لا يبدو لي كأننا كنا حبيبين لأنني أكاد لا أعرفه بحق.

مدت "آبي كولب" ساقيها الرشيقتين فوق الأريكة وقطبت حاجبيها:

- تعلمين أحيانا أنه حين نلتقي بشخص معين برجل مثلا نعتقد أننا كنا نعرفه منذ زمن طويل. إنه أشبه بنوع من الإلهام. فمنذ أن رأيت "ستيكس" للمرة الأولى في أول تبادل لنا بكلمات التعارف عندما نطق بعبارة شائعة دارجة مثل "كيف حالك" علمت أنني قد وقعت في غرامه. لا يمكنك أن تقيسي كل شيء بعدد الساعات أو الأيام التي قضيتها معه.

- ربما . لكن هناك من الأسباب التي تباعد بيني وبينه الكثير وهي التي تثبت أنه ليس بالرجل المناسب لي. الواقع هو الواقع. ومع كل ذلك راودتني الرغبة في البكاء على مدى اليوم كله. أمر غريب .

- لا.. أرى أنه عظيم. أتمنى لو أن "ستيكس" يقول لي: إنني بمثابة "تحد" بالنسبة له حتى لو لم يقابلني وإن تعامل معي كشقيقة صغرى له. على أية حال لا ينبغي أن يكون حديثنا الآن عني أنا.

أجابتها "كاليكو" بقولها:

- لكن يجب أن يكون حديثنا عنك أنت. لأنني لا أريد أن أتناقش في أمر "بيتر" بعد الآن.

أدارت رأسها نحو البرطمان.

- أهلا يا "هوميروس" كيف حالك؟

فقالت "آبي" مازحة:

- "هوميروس" سمكة من الطبقة الأرستقراطية. هل تتصورين أنه من السهل أن تتعرف إلى سمكة حمراء تعيش في شقة الأحلام بينما نحن نستأجر حجرتين فاخرتين في حجم علب الكبريت بالطابق الأخير بأحد الأبنية المتواضعة؟

قالت "كاليكو" ضاحكة:

- من كان سيصدق هذا؟ سمكة من الطبقة الممتازة!

- تعلمين يا "كاليكو" أود لو أنك تنسين موضوع الطبقات الاجتماعية. أتفق معك في أننا معدمتان حاليا لكن لن يستمر الحال كذلك على طول الخط. سوف تجتازين اختباراتك وسوف أحصل أنا عما قريب على شهادتي في الإعلام. عندئذ سوف يتواصل اعتقادي بأننا لسنا أقل درجة من غيرنا حتى لو اضطررنا إلى أن نعيش بقية عمرنا نقدم الأطعمة السريعة لرواد المطاعم. كنت أعرف جدتك لم أسمعها مرة واحدة تتحدث عن موضوع الطبقات الاجتماعية ما الذي أوحى إليك بتلك الأفكار؟

قالت "كاليكو":

- ربما استقيتها من المدرسة. دائما ما كنت أشعر بالتفرقة الطبقية على الرغم من الأحاديث المبرحة عن الديمقراطية التي تسود وطننا العظيم. يمكن للأطفال أن يكونوا غاية في القسوة. دائما ما كنت أرتدي الملابس التي كانت تباع أثناء مواسم التخفيضات تلك الملابس التي مر على كونها آخر صيحة في عالم الأزياء ثلاث سنوات على الأقل. لم أشك من ذلك قط لأنني كنت على علم بأن جدتي كانت تبذل أقصى ما بوسعها. فعندما توفي والداي في حادثة السيارة تركا لها كومة من الديون وطفلة عمرها ثلاثة أشهر.

- "كاليكو" إننا لا نعيش في العصر الفيكتوري. ولن يسخر أحد من "بيتر أندرسون" لرؤيته بصحبة فتاة ليست من وسطه الاجتماعي. كما أن أحدا لن يسعى إلى إهانتك.

– لا باس يا "آبي" لكنك على علم تام بان هناك امرا آخر. نعم. ربما اكون شديدة الحساسية فيما يتعلق بالمكانة الاجتماعية لكن ذلك لا يغير واقع انه ليس لدي الوقت الذي أكرسه من أجل "بيتر" او أي رجل آخر كان. أصبحت على قيد خطوتين من النجاح ولا يزال امامي البحث عن عمل أسدد منه الأموال التي انفقتها على تعليمي. لو أنني انحرفت عن الطريق الذي رسمته لنفسي فإنني أخاطر بإضاعة كل شيء. تسمعينني.. سيضيع مني كل شيء.

– وهذا إذن هو سبب ابتعادك عنه.

– لا خيار امامي. لكن ما اريد ان اعرفه هو لماذا ينعكس علي هذا. بحزن شديد؟ هيا.. لننس كل هذا ،لنتناول شيئا مثلجا ثم نستانف الاستذكار. إنني سعيدة لأنك قد وافقت على أن تقضي هذه الليلة هنا معي. وقد صرحت السيدة "وذرباي" لي باستقبال صديقة. تبعتها "آبي" إلى المطبخ حيث راقبتها وهي تخرج صنفا مثلجا من الثلاجة. سألتها مشيرة إلى اللفافة بإصبعها:

– ما هذا؟

– نوع من الحلوى المثلجة الخالية من الدهون. لا يحتوي على أي قدر من الكوليستيرول. "بيتر" هو الذي لفت نظري إلى ضرورة توخي الحذر فيما أتناوله من أطعمة.

قالت "آبي" –بشبح ابتسامة على وجهها–:

– عظيم جدا. "بيتر" هو الذي قال لك ذلك؟

فقالت "كاليكو" –بينما كانت تخرج ملعقتين من أحد الأدراج–:

– نعم. وبهذه المناسبة هل فكرت قط في الخطر الذي تمثله الغازات المنطلقة على هيئة عوادم السيارات؟ قال "بيتر"...

وبينما واصلت "كاليكو" حديثها عن ذلك الموضوع جلست "آبي" تتاملها مستغرقة في أفكارها.

*****

وقف "بيتر" في صباح اليوم التالي في فتحة الباب الضئيلة وقد آلمته أذنه بسبب التصاقها مدة طويلة بهيكل الباب ،فقد نجح في احتمال هذا الوضع المتعب على مدى ما يقرب من نصف الساعة. رأى أن يفكر في احتمال ضرورة أن يذهب إلى أحد أطباء العظام بلا تأخير بسبب الآلام التي أحسها في ظهره إذ كان على علم بأن مجرد تحول فقرة واحدة عن موضعها باقل قدر كان يكفي لأن يحدث اضطرابا خطيرا في الآلية البشرية باكملها.

توترت أعصابه فجاة. سمع ضحكة انثوية لا شك فيها فقال محدثا نفسه: إنها لابد أن تكون ضحكة "كاليكو" وإنه من غير الممكن أن يخطئ صوتها. فاذناه وقلبه الخافق وقشعريرة الرغبة التي سرت في جسده ويداه المبللتان بالعرق وكل هذا يؤكد أن من ضحكت هي "كاليكو".

انتظر حتى هدأت ضربات قلبه ثم أخذ حقيبة أوراقه وغادر شقته. أوجب على نفسه أن يتشاءب حتى يضفي لمسة اللامبالاة على لوحة رجل الأعمال الشاب الكامل المتوجه نحو واجباته الصباحية.

قال وقد بدت على وجهه تعبيرات الدهشة غير المتكلفة عندما لاحظ وجود صديقة "كاليكو" –:

– آه! صباح الخير. صباح الخير يا "كاليكو".. صباح الخير يا آنسة. اسمي "بيتر أندرسون" وأنت؟

أجابته مبتسمة:

– "آبي كولب". إنني أعز صديقة لـ"كاليكو". لا يمكنك أن تتصور مدى سعادتي بلقائك. كثيرا ما حدثتني "كاليكو" عنك. واقع الأمر انها لا تكف عن الحديث عنك.

قبضت "كاليكو" على ذراع صديقتها بقسوة قائلة:

– هيا تعالي! سوف نستقل الأوتوبيس.

أجابتها "آبي" دون أن تتحرك قيد انملة:

– معذرة يا صديقتي.. بعد كل هذه المحاضرة التي القيتها على مسمعي عن غازات عوادم السيارات لست واثقة بانه ينبغي أن نستخدم وسيلة المواصلات المذكورة.

أضاءت وجه "بيتر" ابتسامة مشرقة عرضت تدريجيا:

– لقد تحدثت مع صديقتك إذن عن آرائي في موضوع التلوث؟

وقفت "كاليكو" تعبث بأصابع مضطربة بأعلى أزرار قميصها بحيث بدا للناظر أن ذلك الزر هو أهم شيء وقع بصرها عليه طوال حياتها.

قالت بمثل الزمجرة:

– لابد أنني قلت ذلك في سياق حديث ما.

فكذبتها "آبي" بقولها:

– لا.. بكل تأكيد.. بل كانت محاضرة بالفعل! ألا تذكرين؟ وقد بدأت بان قدمت لنا صنف حلوى مثلجا خاليا من الكوليستيرول.

قالت "كاليكو" متمتمة –وقد احست بحمرة الخجل تصعد إلى وجنتيها–:

– كفى.

وسأل "بيتر":

– أكلتما ماذا..؟ بأي مذاق؟

– لا أذكر.

فقالت "آبي":

– مذاق الفاكهة الطبيعية فهي نقية وغير معالجة. لذيذة جدا.

قالت "كاليكو" –هامسة من بين أسنان صارة–:

– "آبي".. سوف نتأخر.

فقالت "آبي" –مديرة ظهرها نحوهما–:

– هيا لنستقل المصعد معا.

أخذت "كاليكو" تردد لنفسها في صمت: لا تنظري إلى هذا الرجل. لا تنظري إليه. سيري حتى أول المنبسط ثم ادخلي المصعد واختفي

بداخله. لا تلتقي بنظرة "بيتر اندرسون".

لكنها سرعان ما رفعت رأسها والتقت بعيني "بيتر". قالت محدثة نفسها في صمت: أووه.. لا!

بينما قال هو محدثا نفسه في صمت: أووه.. نعم!

بدا زوج من العيون الزرقاء الصافية وزوج آخر من العيون الداكنة وكانهما قد تشابكا كل بالآخر وأشعل إحساس مكتسح جسديهما مثل دفء نابض بإلحاح، دفء الرغبة المطلقة التي خففت من ثقل الجو من حولهما.

قال "بيتر" –خافضا رأسه نحوها–:

– "كاليكو"..

فصاحت "آبي" من داخل المصعد:

– سوف يقبلها.

انتبه "بيتر" و"كاليكو" لصيحة "آبي"، أسرعا نحو المصعد حيث ضغطت "آبي" زر الطابق الأرضي. وقال "بيتر":

– كنت أتمنى أن أصطحبكما إلى جهتكما لكن سيارتي ليست مهيئة لاستيعاب أكثر من شخصين فقط. سيارة غير عملية على الإطلاق.

فقالت "آبي":

– أختلف معك في هذا الرأي، اثنان رقم جميل. يذكرني بعبارة "شاي من أجل اثنين" والاثنان هنا بمعنى زوجين... وعبارة واحد مضاف إليه واحد يساوي اثنين.

فقالت "كاليكو" مسرعة:

– هذا يكفي يا "آبي". علم!

– لا بأس.

فتح باب المصعد وخرجت "كاليكو" على الفور. قالت –دون أن تلتفت إلى الوراء–:

– إلى اللقاء يا "بيتر".

وقالت "آبي" متمتمة –تخاطب "بيتر"–:

– سوف أقول لك شيئا ما.. فيما بعد. لدي خطة.

غادرت المصعد بمشية تهاد ثم قالت بنبرة دلال:

– إلى اللقاء يا "بيتر"! سعدت بلقائك.

وأجابها "بيتر" متمتما –قبل أن يغلق باب المصعد–:

– إلى اللقاء.

كانت "آبي" قد قررت أن تلزم الصمت. فقد بدا وجه "كاليكو" عابسا مثل يوم غائم مهدد بهبوب عاصفة لأدنى الأسباب.

غادرا الأوتوبيس وتركتها "كاليكو" بعد تحية وداع خاطفة فقالت "آبي":

– انتظري لحظة.

– نعم.

– أرجو ألا تكوني قد نسيت أننا سنذهب مع "ستيكس" هذا المساء للاستماع إلى قصائد الشعر التي ستلقى بمقهى "الموزة الزرقاء".

– آه نعم... بالتأكيد. سوف أعود إلى المنزل حتى نذهب معا. ولا داعي لأن أمر بالشقة التي في "سكوتسديل" سوف أستغل ذلك الوقت في العمل.

– حسنا.

– "آبي"... بشأن "بيتر".

– نعم؟

فقالت "كاليكو" متنهدة:

– لا شيء.. انسي أنني قد ذكرت اسمه. لأنه ليس هناك ثمة ما أضيفه إلى موضوع "بيتر أندرسون".

عادت إلى المشي ببطء مطأطئة الرأس. فقطبت "آبي" حاجبيها قائلة:

– سوف ننظر في هذا الأمر يا آنسة "سميث" سوف تزاول "آبي كولب" نشاطها.

*****

توقف "بيتر" بسيارته قبل الثامنة بقليل في ذلك المساء أمام منزل طلي باللون الأزرق وأشارت لافتة ضوئية إلى أنه أصبح في مواجهة "الموزة الزرقا".

أثار هذا المكان إعجابه فقد ذكره هذا البناء الأزرق الزاهي الواقع بأحد الشوارع الجانبية –الذي اختلطت فيه الفنادق المتداعية بالمنازل العتيقة بأيام ذهابه إلى الجامعة... والتي لم يعرف فيها قط أماكن مثل هذا المقهى المتواضع فقد اقتصر خروجه مع أبناء طبقته على حضور الحفلات الموسيقية والملاعب الرياضية الراقية أو الأمسيات التي التقوا فيها بفتيات الطبقات الراقية وتعاملوا معهن فيها على المستوى اللائق من الأدب والتهذيب.

كانت "آبي" قد اتصلت به هاتفيا وأخبرته بأن "الموزة الزرقاء" هو بمثابة المقهى الراقي بالنسبة لشباب الجامعة.

انتظر "بيتر" قليلا وسرعان ما تحول افتتانه بهذا المقهى إلى ضيق. فلابد أن يكون هذا المكان قذرا مليئا بالدخان والأبخرة والضوضاء مزدحما مليئا بأولئك الشبان الذين يثيرون الضجة ويسيئون التصرف أثناء تناول مشروباتهم. لا.. لم تتوفر لديه الرغبة في دخول ذلك المقهى، لكنه كان توأقا بحق إلى رؤية "كاليكو".

تبين أن إحجامه عن دخول المكان لم يكن بدون مسوغ قوي. فقد أصبح هو ذاته على الأقل غير قادر –بسبب سنه– على الاندماج مع هؤلاء الطلبة الشبان. ثم إن حياته الاجتماعية لا تتفق مع وجوده هنا فهو يفضل الحفلات الموسيقية والمؤتمرات الرياضية وما شاكل ذلك.. تنبه بقدر من الندم إلى أنه –في حفاظه على تلك الأفضليات– عليه أن يغير

هذه ليلتنا

من أماكن قضاء أوقات فراغه منذ أن كان طالبا جامعيا ،بدا ذلك كله فجأة مملا باعثا على الضيق.

حتى ذلك اليوم. حتى يوم لقائه بـ"كاليكو" حتى ضغطت تلك الدجاجة العجيبة زر جرس بابه. فأصبحت حياته المنظمة بالكامل -كما بفعل معجزة ما- مضطربة تماما وكأنها قد انقلبت رأسا على عقب.

نعم. فهي تحد بحق وتجربة غير مسبوقة بالنسبة إليه. وقد قبل هذا التحدي. وسوف يرى بعد ذلك ما سوف يجري. ربما يتلاشى مفعول سحرها عندما يعرفها عن قرب ويفهمها بقدر أكبر. وربما تكون النتيجة عكسية.. وعلى أية حال لم يكن أمامه سوى خيار واحد.. حول هذا المقهى ذي الاسم الغريب.

التقط نفسا عميقا قبل أن يدفع باب "الموزة الزرقاء".

قالت "كاليكو" -وهي ترمق صديقتها بنظرة متحيرة-:

- "آبي" لماذا لا تكفين عن الحركة فوق مقعدك؟ لم لا تستقرين بهدوء مدة دقيقتين منذ أن أتينا إلى هنا!

سألتها "آبي" متعجبة:

- معذرة؟ لا أفهم ما تقصدين. الجلبة أكثر مما يحتمل!

فقال "ستيكس":

- قالت إنك تبدين وكأنك جالسة فوق وكر نمل.

فقالت "آبي":

- تعليق رشيق.. يليق بوقار رجل مهذب.

- حسنا.. لنقل: إنك تمعنين في استغلال خفة ظلك.

- مستحيل! أنت! لست ممن يقدرون خفة الظل بمثل هذه البساطة.

فقال -بنبرة تعال مصطنعة-:

- عزيزتي "آبي" لا أحد يشك في سحرك ولا في جاذبيتك ولا في جمال قوامك الممشوق.

فقالت "كاليكو" ضاحكة:

- لقد سمعت ما قال يا "آبي" وعليك أن تشكري "ستيكس" على هذه المجاملة الظريفة.

فقالت متمتمة -وهي ترمقه بنظراتها-:

- شكرا لك يا "ستيكس".

- أرجوك.. هذا نابع من فؤادي. فأنت مخلوقة مثيرة بحق. ألا تعلمين ذلك؟

- إنني!

- نعم. هذا صحيح. أنت أنثى بكل معنى لهذه الكلمة. لا نقاش في ذلك، أنت امرأة ناضجة.

- ماذا قلت؟

فقال -ناظرا إلى الصديقتين-:

- نعم. إنكما تكبراني سنا.

فقالت "آبي":

- هذا صحيح. إنني أكبر منك بأحد عشر شهرا وأربعة أيام.

- وماذا بعد؟

- وماذا بعد يا "ستيكس"؟ هل ما تعنيه هو أنك تعتبر أحد عشر شهرا وأربعة أيام فرقا كبيرا؟ هل أنت واثق بأنك لم تفقد صوابك من جراء كثرة سقوط كرات السلة فوق رأسك؟

- آسف يا جميلتي.. ما أعنيه هو أنك كبيرة وأنني أنتمي إلى الفئة الأقل.، الفئة الخاضعة فئة أصغر الصغار. لهذا أفترض أنك تعتبرينني في مقام شقيقك الأصغر الجميل. أما عن "كاليكو" فلن نتحدث عنها... فهي تبلغ من العمر ثلاثة وعشرين عاما!

فقالت "كاليكو":

- يا إلهي! أرى نفسي على أبواب الشيخوخة!

وقالت "آبي":

- "ستيكس" لم أعتبرك قط أخا صغيرا جميلا؛ لأنني أكن لوالدي

www.elromancia.com

احتراما لا حدود له.. أما من وصفك بانك جميل!

– غريب جدا فالكثيرات يجدنني متفقا مع أذواقهن. على أية حال من حقك ألا تشاركيهن الرأي.

– أعتقد أن الأمر سينتهي بي إلى قتله. قتله يا "كاليكو"! ثم تقطيعه إلى شرائح جميلة على الرغم من انه لا يستحق المخاطرة بقضاء عقوبة في السجن بسببه.. ستاتين لزيارتي في السجن يا "كاليكو"؟

فقالت "كاليكو":

– بالتاكيد.. وسوف أحضر إليك أفضل المخبوزات والزبد والفول السوداني والمجلات النسائية. لا تتردي إذن. اقتليه!

تساءل "ستيكس" مزمجرا:

– لكن أي ذنب اقترفت؟

قالت "آبي":

– إنك متهم بانك لم تفعل شيئا ولا تفعل شيئا أيها الأحمق!

– ماذا؟

فقالت "آبي" –قبل أن تتوتر أعصابها فجأة–:

– لا توجه إلي حديثا.. انظر من الذي دخل الآن.. إنه "بيتر اندرسون"!

هبت واقفة ثم أخذت تلوح بيديها حتى تلفت نظر "بيتر" إلى ذلك الاتجاه بينما تمتمت "كاليكو" قائلة:

– مستحيل! "بيتر"... "بيتر" لا يعرف الطريق إلى مثل هذا المكان.

قال "بيتر" مقتربا من منضدتهم:

– طاب يومكم.

سألته "كاليكو" –وقد أغضبها أن صوتها بدا مضطربا–:

– هل ترتاد "الموزة الزرقاء"؟

– ولم لا؟

فقالت "آبي":

– خذ لك مقعدا وانضم إلينا، "ستيكس" تراجع إلى الخلف قليلا. إنك تحتل كل المكان بجسدك الضخم هذا.

– وأين، تقترحين علي أن أودعه؟

مسحته بنظراتها رافعة كتفيها فقال "ستيكس" معلقا:

– إنك لذيذة جدا هذا المساء.

وجد "بيتر" له مقعدا وجلس بين الفتاتين. قال:

– حسنا.. ما كل هذا الدخان! وما كل هذا الزحام. أما عن احتياطات الأمن فهي... أووف!

ضربت "آبي" قدمه بشدة من تحت المنضدة فاستطرد قائلا:

– ومع كل، ذلك المكان متميز جدا. وركن المشروبات غير عادي... اليس كذلك؟ ثم وبدلا من المرآة التقليدية، ظريفة تلك اللافتة المكتوب عليها كلمة "مرآة" بالخط الأسود الواضح. خيال خصب بلا شك! لا شي أجمل من مساء جمعة يقضيه المرء في رحاب مقهى "الموزة الزرقاء"!

ثم حدث نفسه في صمت قائلا: ما من شك في أنني مبالغ جدا.

نظرت "كاليكو" إليه وقد اتسعت عيناها دهشة كما لو كانت تلك هي المرة الأولى التي رأته فيها. حدثت نفسها: "بيتر" هنا.. مستحيل. أمر يذهب العقل ومع ذلك كان جالسا في مواجهتها.. وكان مبتسما على الرغم من رائحة السجائر والضوضاء والزحام وتلك المليارات من الجراثيم السابحة في الجو من حولهم. كان هو بالفعل في بهائه وجمال هندامه.. ذلك القميص القطيفة الأحمر والبنطلون الأسود.. وبساقه المجاورة لساقها والضاغطة عليها مشعا أحاسيس سرعان ما انتقلت إلى سائر جسدها باعثة فيه دفئا لذيذا.

كان "بيتر" هناك.. وكانت "آبي" مستندة إلى المنضدة واضعة ذقنها فوق مرفقها تتامل "بيتر" بعينين حالمتين.. مغازلتين "آبي"؟ لكنها.. لكنها كانت تحب "ستيكس". لماذا إذن جلست تتامل "بيتر" وكانها

ترى أن تلتهمه بعينيها النهمتين؟

قال "بيتر" بابتسامة عذبة:

– حسنا يا "آبي" ما هو مجال دراستك بالجامعة؟

– الإعلام.. وسوف أتخرج بعد بضعة أسابيع. "بيتر"...

وهنا انحنى "ستيكس" قابضا على ذراع "آبي" وأخذ يهزها قائلا:

– هل ثمة شيء أصاب عينك يا "آبي"؟

فأجابته بنبرة جادة:

– لا. لم يصبها أي شيء.

تقدمت من المنضدة نادلة شابة لتعرف طلباتهم. ثلاث زجاجات "كوكا كولا" وماء معدني من أجل "بيتر".

قالت النادلة مرددة:

– ماء معدني؟ لدينا ماء الصنبور.. أو يمكنني أن أقدم لك شيئا مثلجا ما هو المشروب الذي تفضله؟

– الصودا... مع شريحة ليمون.

فقالت:

– آسفة يا عزيزي. لسنا في "الهيلتون" هنا ومع ذلك سأحاول أن أحضر لك شريحة الليمون!

تجاهل "بيتر" سخرية الفتاة والتفت نحو "آبي".

– الإعلام.. هذا جميل جدا يا "آبي" تستخدم سكرتيرتي الخاصة جهاز الكمبيوتر دائما ومع ذلك لا أعرف أنا حتى كيفية تشغيله.

– سيكون من دواعي سروري إعطاؤك بعض الدروس الخصوصية فيه. وأنا واثقة بأنك سوف تحرز تقدما ملحوظا معي.

– إنه كرم عظيم منك وأتمسك بهذا العرض يا "آبي".

لم يكن ذلك كرما عظيما على الإطلاق بالنسبة إلى "كاليكو" بل كان شيئا مثيرا للاشمئزاز. فلم تعرف عن "آبي" أبدا نشاطا في مجال الدروس الخصوصية ولم يسبق لها أن رأت صديقتها تتصرف بمثل هذا

القدر من اللامبالاة والمزاح الرخيص من قبل، كانت تحاول جذب "بيتر" إليها بكل السبل.. يا للعار... وصديقتها الحميمة!

حدثت "كاليكو" نفسها: إن لـ"آبي" مبرراتها فيما تفعله الآن.. فهي التي أخبرتها بأنه ليس لديها الآن الوقت والاستعداد لإقامة علاقة مع "بيتر" وكان من الطبيعي أن تغتنم هذه الفرصة ومع ذلك... ماذا عن مشاعرها نحو "ستيكس"!

سمعت "ستيكس" يقول:

– ليست لكل الناس القدرة على التعامل مع أجهزة الكمبيوتر. أما عن "آبي" فهي نابغة في مجالها هذا. هذا ما قلته لـ"هوب هندرسون" منذ عدة أيام: "هوب" يا صديقتي "آبي كولب" ليست فاتنة فحسب بل خارقة الذكاء نعم.. هذا نص ما قلته له.

أدارت "آبي" رأسها برفق بطيء ونظرت إلى وجه "ستيكس".

– هل قلت هذا حقا يا "ستيكس" أخشى أن تكون قد حدثته عني كامرأة ناضجة منذ زمن. قلت له: إنني لست سيئة جدا على الرغم من كبر سني؟

أسرع "ستيكس" يقول:

– لا! لم يتطرق تفكيري إلى سنك علي الإطلاق.

سأل "بيتر":

– ما الذي لا يتناسب مع سن "آبي"؟

فأجابت "آبي" –مركزة بصرها على "ستيكس":

– أحد عشر شهرا وأربعة أيام لا تعتبر فرقا على الإطلاق ولا تعني شيئا.

فقال "ستيكس" متلعثما:

– ما من شك في أنك محقة فيما تقولين. ما أريد أن أقوله هو إن لك كل الحق.

فأجابته "آبي":

– أعلم ذلك.

فقال "بيتر" –فرحا بينما التفت نحو "كاليكو"–:

– فوز ساحق!

فقالت "كاليكو" مرددة:

– فوز ساحق؟

فقال:

– سعيد برؤيتك يا "كاليكو". على الرغم من أنني أراك عبر ستار من الدخان ومع ذلك..

– ومع ذلك.. أحب أن أعود إلى "الفوز الساحق". لماذا راودني إحساس مفاجئ بأن مؤامرة غريبة جار تنفيذها في هذا المكان؟ مؤامرة شيطانية.

فأجاب ضاحكا:

– شيطانية! إنك تبالغين. أسلوبك يتميز بالثراء.

قالت –في صمت–: "بيتر" هو المتميز بالثراء وليس هي ولا أي شيء يمت إليها بأية صلة كانت. لأنها معدمة بمعنى الكلمة. وقد قرر هذا الشاب الذي أصابه الملل أن يتسلى.. أن يعيش تجربة جديدة مع دجاجة مثيرة وكانت "آبي" المسكينة هذه هي الوسيلة التي استخدمها لا بأس. لقد ابتلع "ستيكس" الشص ولم تحذ هي حذوه.

قالت النادلة:

– هذه هي مشروباتكم.

كان "ستيكس" كبير الحجم بحيث عندما انحنت النادلة أوحت بإحساس بأن وجهها كان ملاصقا لصدرها. ولم تبد عليه أي من علامات عدم استحسان ذلك الوضع.

دفع "بيتر" فاتورة الحساب بينما بدا "ستيكس" و"آبي" مستغرقين في حوار دافئ جدا استولى على حواسهما تماما بحيث لم ينتبها إلى أي شيء مما كان حولهما. وأخذ "بيتر" يعبث بشريحة الليمون الذابلة التي

أحضرت إليه. قال متمتما:

– لا يمكنني أن أصدق.

فقالت "كاليكو" منحنية نحوه:

– أنا التي لا يمكنني أن أصدق يا "بيتر" أنك أنت الذي أخرجت كل هذا المشهد بالتعاون مع "آبي". وأراهن على أنك لم تأت إلى "الموزة الزرقاء" من قبل، وأنك سمحت لنفسك بالافتتان بمزاجها المفتعل الهزلي.. حتى ينتبه "ستيكس" في النهاية! وبماذا قضت خطتك بالنسبة لي؟ أن تثير مشاعر الغيرة بداخلي.. أليس كذلك؟ وماذا بعد ذلك؟ وماذا بعد هذا المخطط المذهل؟ أن أقبل أن أكون لك مادة للتجربة كما سبق أن ذكرت برشاقتك النادرة؟ ينبغي أن أذوب في نظرتك وألقي بنفسي بين ذراعيك؟

قال:

– "كاليكو" هدئي من روعك! معدل "الأدرينالين" عندك يتصاعد بسرعة خطيرة. وقد يكون لذلك أثر غير محمود على القلب والشرايين.. هذا بالإضافة إلى كل هذا الكم من الأدخنة!

– أنت يا سيد الذي تمثل خطرا على صحتي. وأود أيضا أن أضيف..

قال صوت مرتفع عبر الميكروفون:

– سيداتي وسادتي. مرحبا بكم جميعا في "الموزة الزرقاء" ستكون هذه الأمسية ساحرة. نعم ساحرة! يشرفنا أن نقدم لكم "سقراط" الذي سيلقي على أسماعنا قصيدته "رسالة إلى "بامبليميوس" والتي نحييه من أجلها!

وانفجرت "كاليكو" ضاحكة على الفور وهي تقول:

– ياله من اسم لقصيدة!

وارتفعت أصوات التصفيق والصفير والهمس والقرع على المناضد بينما وقف فوق المنصة رجل ذو لحية كبير الحجم ارتدى ملابس إغريقية قديمة، وكشفت الأضواء المسلطة عليه عن أنه قد جاوز الخمسين، بدا

الرجل يقول بصوت خشن:

– قرعة العسل مستديرة صفراء غير مفهومة.. لشديد الأسف.

كانت "آبي" و"ستيكس" قد تركا مناقشاتهما الجانبية وتابعا المشهد بعينين مفتوحتين على اتساعهما.

– يا قرعة العسل! التي لا يعتز بها أحد. سكر.. سكر.. سكر يخفي سرها العظيم.. ويحميها. قطعة من الزينة قبل أن تكون رحيقا. رمز ماسوي للطبيعة البشرية!

همست "كاليكو":

– لا حقيقة في ذلك.

فقال "بيتر":

– أصغي، فهو مُسلٍّ جدا.

– معذرة؟

رفع "سقراط" ذراعيه ثم باعد ما بينهما ببطء شديد:

– حدثينا يا قرعة العسل الحزينة. بيني لنا أخطاءنا وهفواتنا. علمينا أن نتقبل أنفسنا، أعطينا العطر إذا لزم الأمر، أعطينا العطر قبل أن تكوني لنا حلية... وقبل.. قبل فوات الأوان.

خفض ذراعيه ورفع رأسه مستطردا:

– لا. لقد ولى الأوان. الرجل حزين مكتئب وضجر، الرجل ضعيف الحصى والرمال.. الرجل أعمى وأصم.. كيف يمكنه أن يسمع صوت قرعة العسل! هذه التي كان بوسعها إنقاذنا.. إنقاذنا من أنفسنا. ونواصل قلقنا اللانهائي. سكر.. سكر... سكر قلقنا على أن نستعمل الحلي حتى ننسى كوننا ما نكونه ونضيع. وتصمت قرعة العسل.

وخفض "سقراط" وجهه محييا ولزم جمهور الحاضرين الصمت التام وفجأة نهض "بيتر" وأخذ يصفق على نحو محموم وهو يقول:

– حسنا.. حسنا! قصيدة مذهلة.

رفعت "كاليكو" عينيها نحوه متسائلة:

– ماذا؟

سرت ضجة بين الجمهور وسمع صوت تصفيق أحد الأشخاص تلاه تصفيق اثنين من الحاضرين ثم ستة وسرعان ما علا الهتاف باسم "سقراط".

أطفئت الأضواء المسلطة على المنصة وانخفضت حدة الضوضاء، فقال "بيتر" معلقا:

– مذهلة. غير معقولة. يا لرقتها! ويا للرسالة التي تحملها!

فقال "ستيكس" متحيرا:

– حسنا... أصبحت تواقا إلى شراء عدد من قرع العسل حتى أسمعها تحدثني. في رأيي أن التي تموله هي إحدى شركات عصائر الفاكهة. ولماذا لم يكتب قصيدة عن كرة السلة؟

قالت "كاليكو" بنبرة ترفع:

– كل هذا جميل جدا.

فقال "بيتر" –مؤكدا وهو يلتفت نحوها–:

– كان "سقراط" متميزا. ألم تفهمي فحوى قصيدته؟ الرجل منكب دائما على البحث عن الأفضل والأحرى به أن يتقبل كيانه على ما هو عليه، فهو..

فقاطعته "آبي" بقولها:

– آمين.

وتساءلت "كاليكو":

– قرعة العسل تقول كل هذا؟

فأجاب "بيتر":

– نعم. "الموزة الزرقاء" مكان جدير بالذكرى عندما أتصور أن "آبي" لم..

فصاحت "آبي" على الفور:

– صه!

وقالت "كاليكو":

- كنت أعلم ذلك! كنت أعلمه! إنها خدعة ومؤامرة. "آبي" أرجو أن تكون حياتك مع "ستيكس" سعيدة جدا وأن تنجبا اثنين وأربعين طفلا. أما بالنسبة لي.. فساعود على الفور للاطمئنان على "هوميروس"؟

نهضت مبتعدة عنهم فصاح "بيتر" مناديا:

- "كاليكو"!

فقالت "آبي":

- امنعها من الخروج.

- ماذا عساني أن أفعل؟ وماذا عساني أن أقول لها؟

- أسرع. إنها غاضبة جدا. سوف تسامحني أما أنت.. فغارق في المتاعب حتى العنق! هيا!

نهض "بيتر" قائلا:

- لم أر طوال حياتي شيئا كهذا.

ثم اندفع في أعقاب "كاليكو".

وضعت "آبي" رأسها بين يديها:

- ما هذا الذي فعلته؟!

فقال "ستيكس" واضعا يده على كتفها:

- لاشيء يا جميلتي. كل ما فعلته هو أنك أفهمتني كم كنت غافلا. ما كنت لاعتقد قط أنه من الممكن أن تتاح لي فرصة مع فتاة مثلك. تعلمين يا "آبي".. أنني أحلم بك بلا انقطاع.. أرى أننا غاية في الانسجام معا..

- "ستيكس".. هل أطرح عليك سؤالا؟

- اسألي كما يحلو لك.

- ما هو اسمك الحقيقي؟

- "ملقين".

- أووه... سأناديك "ستيكس" مع ذلك.

- فكرة جميلة.

*****

خرج "بيتر" إلى الشارع وأخذ ينظر في جميع الاتجاهات. لمح أخيرا الفتاة تنعطف عند زاوية أحد المحال. انطلق عدوا نحوها حتى لحق بها.

لم توجه إليه حديثا بل سارا جنبا إلى جنب صامتين على مدى بضع دقائق قال "بيتر" بعدها:

- يبدو عليك غضب شديد.

- هذا صحيح.

- لا أرى أنه بمقدوري أن ألومك. كانت هذه الخطة صبيانية بعض الشيء.. في حالات اليأس يرتكب الناس الحماقات. لحظة أن غادرت قاعة الشاي بدا الأمر لي وكأنك تخرجين من حياتي. لم يمكنني أن أحتمل وقع ذلك. هل يمكنك أن تفهمي ما أقوله؟

- "بيتر" أرجوك..

- اسمعيني. أعلم أن لديك أفضليات أخرى وأنك كافحت طويلا حتى تصلي إلى ما قد وصلت إليه. أخبرتني "آبي" بأن جدتك هي التي قامت بتنشئتك. إنني أكن لك كل تقدير واحترام إزاء كل ما فعلته ولن أسمح لنفسي أبدا بأن أجعلك تحيدين عن أهدافك. كل ما أطلبه منك يا "كاليكو" هو أن تجعلي لي مكانا صغيرا جدا بالقرب منك.

- لا.

وقف أمامها مباشرة موجبا عليها أن تتوقف. أخذ وجهها برفق بين راحتيه موجبا عليها النظر إلى وجهه:

- أصغي على الأقل إلى ما قالته قرعة العسل تلك الطبيبة الماهرة. لا أهمية لما يمتلكه المرء لكن الأهمية كل الأهمية هي للناس أنفسهم وما بهم من قيم وملكات وشرف وصدق وقوة شخصية وشجاعة، "كاليكو"

أرجوك.. أعطيني.. أعطينا فرصة نحاول فيها..

– لا.. إنني..

– نحاول فيها الإجابة عن كل هذه الأسئلة مثل: لماذا لا نتعانق؟

ثم خفض رأسه نحوها.

– لماذا لا نتبادل القبلات في ضوء هذه النجوم في هذا الشارع الهادئ الخالي؟

لمس شفتي "كاليكو" بشفتيه فاقشعر بدنها.

– حتى أقف على مذاق فيك وأعرف مدى رقة شفتيك. وما إلى ذلك من تلك الاستفسارات والأسئلة التي تضارع عدد نجوم السماء أو تزيد.

أبعد يديه عن وجه "كاليكو" حتى يطوق خصرها.. ثم قبلها..

الفصل السادس

كانت تلك القبلة بمثابة .... بمثابة تجربة جديدة ،تجربة غير عادية لم تعرف "كاليكو" مثلها من قبل.

طوقت عنق "بيتر" وداعبت أصابعها شعره وبادلته بقبلة في مثل حرارة قبلاته. أحست وكأنها غارقة في عطره وفي رحيق شفتيه ونعومة ملمسه وفي القوة المنبعثة من جسده.

صاح صوت في أعماقها مطالبا إياها بأن تكف وعلى الفور. لكن قلبها أيضا حدثها وبصوت أكثر قوة وإصرارا بحيث اضطرت إلى الإصغاء إليه ، قال قلبها لها... استمتعي ملء اللحظة.

كانت لحظة حنان وانسجام تام كان يقبلها فيها أجمل رجل رأته طوال حياتها وكانت تجيب قبلاته بمشاعر الرغبة وبأحاسيس لم تكن قد عرفتها من قبل.

كادت أن تصيح منادية اسمه فقد أطلق بداخلها إحساسا ضاريا لا يخضع لأية سيطرة. فقد استقر صدرها فوق صدره مثيرا بداخلها مشاعر خوف لذيذ.

أبعد "بيتر" فمه عن شفتيها وبدأ يطبع على وجنتيها وعنقها قبلات خاطفة متلاحقة. تنبه عندئذ إلى أنه قد حصل بذلك على إجابة لأول الاستفسارات التي كانت قد عنت له. وكانت إجابة غير منطوقة لا تعبر عنها أية كلمات. كما كانت بعيدة عن كل إمكان للوصف لأن تقبيل "كاليكو سميث" كان يفوق الخيال ذاته. وكان أقل ما يقال عنه: إنه أشبه بتفجر مئات من الأحاسيس المتقدة الجياشة أو بيقظة حاجة ورغبة طال انتظار انتفاضتهما.

انغمس "بيتر" في مشاعر الحب فإن تلك الفتاة الرقيقة التي بين ذراعيه تجسيد للأنوثة ذاتها وفرضت عليه معرفتها أن ينسى جميع من كان قد عرفهن من قبل ، فلم يصبح له ماض يذكر بل أصبح هناك حاضر

www.elromancia.com

ومستقبل. مستقبل مع "كاليكو".

نعم.. كانت تحديا وتجربة وتنبه فجاة إلى أنه كان يتمنى ألا تنتهي هذه التجربة أبدا. فقد غيرت حياته تغييرا جذريا منذ اللحظة التي ظهرت له فيها متنكرة مثل دجاجة.

رفع رأسه محتفظا بقبضته عليها بشدة بين ذراعيه. سعت لتكون أقرب إليه فأراح وجنته بكل رفق على جبهتها. انتظرا حتى هدأ نبض جسديهما وعادت دقات قلبيهما إلى معدلها الطبيعي.

ظلا على ذلك الوضع برهة طويلة في الضوء الفضي في تلك الليلة التي اكتمل القمر فيها كما لو كانا يهدفان إلى حفر تلك اللحظة في ذاكرتيهما لتبقى معهما أبد الدهر.

عادا إلى أرض الواقع وابتسم "بيتر".

عادا إلى أرض الواقع وتنهدت "كاليكو" فقد تلاشت سعادتها وحل محلها إحساس عميق بالحزن.

بدأ "بيتر" يقول -بصوت خافت مفعم بالمشاعر-:

- هذه هي الإجابة الأولى على السؤال الأول. قبلتك مذهلة.

- "بيتر"..

وكما لو كان قد فهم بفطنته أنه لا يريد أن يسمع ما كانت ستقوله أمسك بساعدي "كاليكو" ودفعها برفق فرأى أنها لم تبتسم. قال:

- سيارتي تنتظر على الجانب المقابل. هل توافقين على أن نتعشى معا في مكان ما قبل أن نعود إلى "سكوتسديل"؟

- لا. شكرا لك. يوجد موقف للأوتوبيس على بعد مائة متر.

- لا تتصرفي بحماقة. إننا جاران. أود أن أطمئن على أنك قد أصبحت في أمان في شقة السيدة "وذرباي"، قبلتك يا "كاليكو" كانت.. جعلتني أشعر بانني في الفردوس. إنني على يقين من أنك تعلمين مدى توقي إليك وكم أتمنى أن أمارس الحب معك. وأعتقد أنك أنت أيضا راغبة في ذلك.. فقد أوحت قبلتك لي بهذا القدر.

- إنني....

- لا. أصغي إلي. دعيني أكمل ما أريد قوله. أريد أن تعلمي أنني لا أحب أن أمارس عليك ضغطا. سوف تكون بيننا ممارسة للحب -هذا ما أنا واثق به- وسوف تقوم بيننا تلك العلاقة عندما تحين اللحظة المناسبة لنا. "كاليكو".. تبدين حزينة جدا. لا ينبغي أن تكوني كذلك. كل شيء على ما يرام وغاية في الجمال. أصبحت الآن جزءا من حياتك لكنني أقسم لك بانني لن أفعل شيئا من شأنه تعقيدها. سوف تحصلين خلال بضعة أسابيع على شهادتك ثم تتأهبين بعد ذلك لاجتياز الاختبارات وفقا لما كنت قد خططت له. ليس هناك ما يدفعك إلى الخوف. لا شيء على الإطلاق.

- آه يا "بيتر". إنك لا تعلم. لا تتوقف التزاماتي عن هذا الحد. ينبغي علي أن أحصل على عمل وأسدد مصروفاتي الدراسية إنني...

- هدئي من روعك لقد عشت بمفردك طويلا بحيث لم تعتادي أن تشاركي غيرك في همومك. لن تصبحي الآن وحيدة يا "كاليكو". أنت وأنا أصبحنا الآن معا. لا يمكنك أن تنكري أن إحساسا معينا يؤلف بيننا.

طوق كتفي الفتاة بذراعه:

هيا بنا يا أيتها الفتاة الشجاعة. سيارتي عند أول الشارع.

ثم عطس مرتين متتاليتين فقال متمتما:

- كنت أعلم ذلك. لقد عادت إلي الحساسية.. بسبب تلك الزهور. وزهور الغار التي عند آخر هذا الممر، لنمض من هنا.

فتحت "كاليكو" فاها كي تعترض إذ أحست بأنها تساق رغما عنها، وسرعان ما وجدت نفسها تسير بمثل العدو على طول شارع جانبي مظلم متابطة ذراع "بيتر". سمعته يتحدث بمرح دون أن تفهم ما كان يقول فقد اعتمل بداخلها كم كبير من المشاعر والاستفسارات ودواعي القلق والانزعاج.

أحست بالضياع والخوف. كانت أشبه بمن يهبط منحدرا جبليا وهو غير قادر على التحكم في سرعته أو على التوقف. انتابها خوف شديد.. لكنها أحبت تلك الحالة من الانتشاء.

ومع ذلك لم تكن تلك هي اللحظة المناسبة لمثل تلك المشاعر وربما لن تحين مثل تلك اللحظة قبل عام أي قبل قرن من الزمان. إذ عليها أولا وقبل كل شيء أن تحقق استقلاليتها.. أن تعمل على تصريف شؤونها بمفردها بدون مساعدة أي إنسان مهما كان.. لهذا لن تسمح لأي إنسان -حتى لو كان شابا شديد الجاذبية كـ"بيتر"- بأن يجعلها تحيد ولو للحظة واحدة عن أهدافها.

ولم تفلح كل تلك القرارات في تسكين إحساسها بالوحدة والخواء ومع ذلك فإن إفساح مكان لـ"بيتر" في حياتها أمر غاية في الخطورة وبعد كل ذلك كان عليها ألا تتجاهل الفروق الكبيرة بينهما! إذ كانا أشبه بالنهار والليل.

أفاقت من عمق تفكيرها على صوت "بيتر" وهو يقول باسى:

- لقد نسيت أن أحضر معي الحبوب المضادة للحساسية. سوف أبتلع واحدة منها بمجرد وصولي إلى البيت.

فقالت "كاليكو" بنبرة هادئة:

- شقة السيدة "وذرباي" ليست شقتي يا "بيتر". ليست سوى مكان فسيح جميل تعرف أشعة الشمس طريقها إليه.. مكان أقوم على العناية به وبذلك يكون شانه شان أي مكان عمل. وأتقاضى أجرا عن ذلك. أما بيتي أنا فلا يعدو أن يكون حجرة ضيقة بأحد الأحياء المتهدمة يقع الحمام فيه عند نهاية الممر ويشاركني فيه ثلاثة أشخاص آخرين. وعندما كنت فتاة صغيرة كان بيتي عبارة عن شقة صغيرة ذات حجرة واحدة. عد أنت إلى بيتك. فأنا لا أستخدم في هذه الشقة المؤقتة سوى حقيبة ملابسي.

فقال:

- لا باس. تريدين أن تكوني عملية.. هذا حسن جدا.. وليكن لك ذلك، الإقامة بشقة السيدة "وذرباي" عمل مؤقت كما سبق لك أن قلت والإقامة بحجرة صغيرة حمامها عند نهاية الممر وضع مؤقت أيضا.. سوف تتخرجين في الجامعة قريبا.. أليس كذلك؟

قالت متنهدة:

- "بيتر".. لن تغير شهادتي الجامعية الكثير من أسلوب معيشتي. لا يزال أمامي طريق طويل. أعلم أنك تعتقد بصدق أنك تعلم ما أشعر به وتقدر المعوقات التي ينبغي علي مواجهتها أو ما ينبغي علي عمله لكنك مخطئ في الواقع؛ لأنه لا يمكنك أن تتفهم كل هذا. والأكثر من هذا أنك لا تدرك أنه ينبغي علي أن أقوم بكل ذلك بمفردي. هذه هي الحال وهذا هو الواقع رضينا أم لم نرض.

- إنك مخطئة فيما قلت... ومع ذلك كفانا حديثا في هذا الموضوع فقد استغرق منا وقتا طويلا هذا المساء. ما رايك في وجبة صحية فضلا عن كونها شهية جدا.. أعرف مطعما صغيرا في "سكوتسديل" دائما ما...

فقاطعته بقولها:

- لا. شكرا لك. أشعر بانني متعبة يا "بيتر". كان هذا الأسبوع طويلا جدا علي.. إنني أحلم بحمام جيد وبفراشي.

- في هذه الحالة نعود إلى.. أعني أن أصحبك حتى شقة السيدة "وذرباي".

- شكرا لك.

ظلت "كاليكو" صامتة على مدى المسافة إلى "سكوتسديل" تنظر إلى الطريق من أمامها وعندما التفت "بيتر" نحوها أخذ يعبس شيئا فشيئا ظنا منه أنها تبتعد عنه وتبعده عن ذهنها وتمحوه من ذاكرتها. كانت تجلس على مقربة منه.. على مقربة شديدة بحيث كان من الممكن أن يلمسها بسهولة تامة وأن يطوقها بذراعيه، لكنه أحس

بمسافة مخيفة تزداد بينهما. تصور أو بالأحرى رأى ذلك الجدار الذي كانت قد بدأت تقيمه من حولها كي تختفي من خلفه وتمنعه من الاقتراب منها.

لم يعرف مثل ذلك الإحساس الذي راوده من قبل ففي كل مرة كان يجد لديه ميلا إلى امرأة لم تواجهه أدنى صعوبة في جعلها توافق على لقائه وعندما يحدث أن ترفض امرأة ما طلبه كان يتقبل الأمر بفلسفة خاصة ويبحث عن غيرها. لهذا بدت "كاليكو" له وكأنها صفحة جديدة مختلفة تمام الاختلاف..بل فصل كامل.. لا.. بل كتاب مكتمل لم يسبق أن وقع بصره عليه حتى الآن. أحس في تلك اللحظة بأنه ليس بعيدا تماما عن الوقوع في غرام دجاجة بالحجم البشري.

*****

فتح "بيتر" باب شقة السيدة "وذرباي" مستخدما المفتاح الذي أعطته "كاليكو" إليه ثم رفعه ووضع المفتاح في راحة صديقته، ثم قال:

– تصبحين على خير. تبدين مرهقة جدا ولكن بعد تلك النوبة الملعونة التي أصابتني لابد أن أكون محاطا بجيش من الميكروبات.. والوقاية خير من العلاج. لهذا ساتركك لتستريحي.

– سأحاول أن أنام قدر استطاعتي. سأتقدم لأداء الامتحانات النهائية في الأسبوع المقبل. أعتقد أنني على استعداد لاجتيازها ومع ذلك أرى مراجعة ما كنت قد استذكرت مرة أخرى حتى تتوفر لي الثقة الكافية بذاتي. ينبغي علي بعد ذلك التدرب على أعمال المحاسبة التي ستبدأ في شهر حزيران (يونيو) القادم. لهذا سأحاول اغتنام هذه الليلة في الحصول على أكبر قدر من النوم.

حاولت أن تبتسم ولكنها لم تفلح فقالت:

– حسنا.. تصبح على خير يا "بيتر".. أتمنى لك ليلة هادئة! أشكرك على اصطحابك إياي و... أشعر بالسرور لأن وصلة الشعر قد أعجبتك.

قبلها. ثم أخذها بين ذراعيه مغطيا فمها بشفتيه في قبلة دافئة.

قبلها ولم تقاومه.. قبلها وبدا له وكأنها تنصهر فيه. احتواها بين ذراعيه لامسا شعرها وقفا عنقها وصدرها وخصرها وضمها إليه بشدة.

قبلها وقبلته واستعرت الرغبة في قلبيهما... ثم ابتعد عنها فجأة حتى كادت أن تسقط. قال –صارا على أسنانه–:

– تصبحين على خير.

فتحت "كاليكو" فاها وسرعان ما تبينت أنه لن يمكنها أن تنطق بأية كلمة. دخلت الشقة وكانت ساقاها مرتعشتين وأغلقت الباب من خلفها.

ظل "بيتر" في الممر طويلا. ساد الصمت كل شيء فيما عدا قلبه الذي ظل يخفق بشدة وتركز بصره على باب "كاليكو".

استدار في النهاية وسار في الممشى ببطء شديد.. لقد بدأت المعركة وسوف ينتصر وتصبح "كاليكو سميث" له.

*****

سمعت "كاليكو" –في وقت ظهر اليوم التالي– قرعا على الباب. أغلقت الكتاب الذي كانت تدرسه منذ بضع ساعات ونهضت من فوق الموكيت فاحست تقلصاً في كاحلها.

أسرعت إلى المدخل وفتحت الباب فرأت "بيتر أندرسون" مبتسما بمرح وفي يديه طرد ما. طبع قبلة على شفتيها قائلا:

– صباح الخير. معذرة.. معذرة..

ودخل الشقة. رفعت "كاليكو" كتفيها ثم أغلقت الباب. تبعته حتى حجرة المائدة. سألها:

– ما الذي أصابك؟ تورم في أصابع القدم؟ أم في الفم؟ ألم بالساق؟ أم أنه إرهاق بسائر جسدك؟ هل تشعرين بألم شديد؟ لماذا لم تستدعيني على الفور؟ ماذا فعلت حتى..

صاحت:

– كفى! إنه تقلص بقدمي سوف ينتهي في غضون بضع ثوان.

فكرت جديا في استدعاء الإسعاف لكنني قررت أن أواجه الأمر بشجاعة.. لماذا جئت إلى هنا ومعك هذا الصندوق؟

اقترب "بيتر" منها في صمت وعانقها. لكنها ما لبثت أن سألته بنبرة تعجب:

– لكن.. لكن ما الذي تفعله هنا؟

– ينبغي أن أعتني بهذه القدم المسكينة.

ثم أجلسها برفق فوق أحد المقاعد وربت رأسها ثم بدأ يفتح العلبة.

قال –وهو يخرج منديل مائدة من التيل الأنيق ويضعه فوق فخديها:

– معذرة يا سيدتي.. واكون شاكرا لو أنك لم تحدقي إليّ وكأنك ترين أمامك شبحا.

أخرج من الصندوق عددا من الأطباق المختلفة الأصناف ووضعها فوق المائدة قائلا:

– سلطة دجاج كمصدر للبروتين.. بعض شرائح الخبز ذات المحتوى الدهني المنخفض جدا والغنية بالألياف.. فاكهة طازجة وهي مفيدة جدا بالنظر إلى احتوائها على فيتامين "ج" أما المشروب فهو خليط من الحليب وعصير البرتقال والحليب الراقد ويحتوي على الفيتامينات "د"، "ج"، "أ" فضلا عن الكالسيوم. أما الحلو فهو مخبوزات الشوكولاتة الشهية.. إثم جسيم.. لكنك بحاجة إلى التغذية بعد كل هذا العمل.

لم يتح لها فرصة مناقشته فيما فعل بأن انحنى نحوها مقبلا إياها بحنان وبعمق أحست معهما بموجة سعادة تغمرها. كانت توشك أن تستسلم له تماما لكنها أحست فجأة بتوتر جسده ومالبث أن ابتعد عنها مغادرا الشقة دون أن ينطق بكلمة واحدة.

قالت مستعيدة أنفاسها:

– يا إلهي!.. آه.. شكرا لك يا "بيتر أندرسون".. لك جزيل

شكري.

*****

عاد "بيتر" إلى حجرة الاستقبال بشقته حيث أخذ يذرع المكان بخطوات قلقة مستعيدا ذلك المشهد الذي كان قد عايشه توا.

رأى أن خطته تسير على أجمل وجه ممكن. وبدا متباهيا باستطاعته مغادرة الشقة في تلك اللحظة لأنها كانت أصعب مراحل الخطة. هذا ما كان الممثلون يقولونه.. لقد حقق إخراجاً ناجحا. لأن هذا من شأنه أن يثبت لها أنه لن يتطفل على أوقات استذكارها.

اعتز بشجاعته وقدرته على مواجهة تلك اللحظة. ومع ذلك بدأت فكرة غير مناسبة تلح على ذهنه. كانت "كاليكو" قد ذكرت أكثر من مرة واحدة أنه ليس لديها وقت تخصصه له. لا بأس.. ليس لديها وقت.. لا.. لا.. ليس في الوقت الحالي.. نعم.. ليس في الوقت الحالي. هذا الوضع ليس إلا مؤقتا.. لكن كلمة "مؤقت" هذه انطوت على قدر من الغموض. وإذا خرجت من فم "كاليكو" فهي تعني برهة طويلة من الزمن.. تنتهي بعد أن تجتاز امتحاناتها وتهتدي إلى عمل ذي عائد مجز وتسدد ديونها..

عندما فكر في هذا الأمر أحس بالاكتئاب؛ لأن خطتها هذه قد تستغرق بضعة أشهر لا يعلم سوى الله عددها! قبل أن تتمكن "كاليكو" من أن تسمح له بقدر من وقتها.

ولم يكن على استعداد لأن ينتظر طويلا.

توجه إلى المطبخ إذ أحس بحاجة ماسة إلى تناول قدر من البروتين. فالبروتينات هي أفضل شيء يتيح صفاء التفكير.

التف حول نفسه عندما تذكر شيئا ما أكثر إلحاحا. توجه إلى الحمام على الفور حتى يتناول الحبوب المضادة للحساسية! ثم قرصا محتويا على فيتامينات عديدة متنوعة. لم تكن تلك التي يواجهها معركة بل

كانت حربا طويلة شعواء.. حربا حقيقية ضد الأوضاع لهذا ينبغي أن يكون في كامل صحته.. لأنه بصدد تشكيل مستقبله..

توقف فجأة وتعبيرات غريبة تكسو وجهه، استعاد ذكرى تلك القبلة التي كان قد تبادلها مع "كاليكو". رأى ابتسامتها وسمع صوتها.. إنه يحبها بحق..

*****

رفعت "كاليكو" الأطباق التي كانت محتوية على وجبة غذائها بعناية تامة وأعادتها إلى الصندوق.

عادت متنهدة إلى حجرة الاستقبال حيث جلست على الأرض وأمسكت ببطاقة مذكرات.

كان "بيتر" رقيقا معها.. بل أكثر من ذلك.. كان مهذبا متعقلا.. أصاب تصرفه منها وترا حساسا.

- يا إلهي! لا ترغب في أن تعيش وحيدة بعد الآن.. لم تكن تريد أن يرحل.. مهما كان الثمن.

وضعت يديها المرتعشتين فوق وجنتيها اللتين توردتا فجأة. أحست دفئا يسيطر على وجهها. حاولت أن تتناسى "بيتر" وأن تخرجه من ذهنها وألا ترى نظراته وعينيه وابتسامته وألا تتذكر قبلاته. همست قائلة:

- لا. لا. لا! لا ينبغي أن أستسلم لحبه.

ولم تتمكن من القراءة.. فانخرطت في البكاء.

الفصل السابع

قرر "بيتر" -بعد تفكير عميق متروٍ ومناقشات عديدة مع ذاته- أن يتبع نفس الأسلوب على مدى المدة حتى نهاية عطلة الأسبوع.

ظل يقرع باب "كاليكو" في مواعيد الوجبات ويضع الطعام على المائدة ويمضي. وكانت هذه الخدمة تتألف من شرح واف للعناصر الغذائية التي تحتوي عليها الوجبة وفوائدها الصحية جنبا إلى جنب مع قبلة أو قبلتين أو ثلاث قبلات في بعض الأحيان.

جلست "كاليكو" مساء الأحد في حجرة الاستقبال بشقة السيدة "وذرباي" حيث حدثت "هوميروس" قائلة:

- كان عشائي مكونا من قطعة ديك رومي أضيف إليها لا أدري ماذا مع قدر من الأرز الشهي وكوب من مشروب غريب المذاق علي لكنه صحي وليس رديء الطعم. تبينت أن حياتك لا ضيق فيها يا "هوميروس" العزيزة على العكس.. حياتك تفوق الأحلام.. فهي بسيطة لا تعقيد فيها.. ومنظمة إلى أبعد الحدود. لو علمت كم أحسدك عليها.. أخبريني يا "هوميروس".. ماذا أفعل؟

جلست فوق الأريكة تتأمل انعكاس البقع الضوئية الملونة على السقف، لم يكن لمثل هذا السؤال مكان في حياتها قبل أن تلتقي به .فعلى مدى عطلة نهاية الأسبوع وعلى الرغم من تركيزها على مهمة الاستذكار لا يمكنها ألا تفكر في "بيتر" أو تحسب الساعات لحين مجيئه التالي.

لم يبد الوقت لها طويلا جدا.. فكان يأتي بعد ذلك ويرقص قلبها طربا.

وعندما كان يرحل ثانية كان من الممكن القول: "إنه كان يأخذ معه دفء الحجرة وأنفاس جسدها. فكان يصيبها إحساس بالضعف والضياع والبرد.

كانت تفتقده بشدة.

لا.. لا ينبغي بأي ثمن كان أن تقع في حب هذا الرجل. فلم يكن الوقت مناسبا ولم يكن هو الرجل المناسب لها.

قالت -محدثة نفسها-: ينبغي عليك أن تستذكري يا "كاليكو" ينبغي أن تستذكري وتستذكري وتستذكري..

في منتصف الفترة الصباحية من يوم الاثنين غادر "بيتر" حجرة مكتبه متوجها إلى حجرة الاستقبال.

لم تكن "كاليكو" منذ بضع ساعات سابقة هناك بالشقة حتى تتلقى فطورها منه. وكان السبب جديرا بالتقدير. مؤسفا لكنه جدير بالتقدير. فلا يزال يذكر أيام أن كان يؤدي امتحاناته النهائية بالجامعة. مسكينة "كاليكو".. لابد أن تكون في حالة يرثى لها.

وجد "ميريام" تتحدث مع "ميشيل" ذلك المهندس الشاب الذي كان "بيتر" قد ألحقه بالعمل بالشركة منذ فترة وجيزة. بدا الشاب في قمة السعادة. بادر "بيتر" بقوله:

- صباح الخير يا "بيتر"! خمن ما حدث لي! بابا. بابا! سوف أصبح أبا عما قريب جدا. أنا.. سوف أصبح أبا.. أبا.. هل لك أن تتصور ذلك؟ يا إلهي!.. أكاد ألا أصدق عيني.. أنا... سيكون لي طفل. سوف تلد "سارة" طفلا.. طفلنا. آه.. انظر إلى الساعة ينبغي أن أمضي وإلا فسأتأخر عن موعدي.

أمسك بلفافة التصميمات التي كانت فوق مكتب "ميريام" وأسرع بمغادرة المكان بعدما صافح "بيتر" بحرارة.

وقف "بيتر" في مكانه لحظة يراقب الباب الذي كان "ميشيل" قد خرج منه ثم اتخذ له مقعدا.

- من المستحيل أن يصبح له طفل يا "ميريام"؟

- وما المانع من ذلك يا عزيزي؟

- لأنه هو نفسه لا يزال صبيا. ولا أدفع له مرتبا كافيا لإعاشة أسرة..

ينبغي أن أتدارك هذا الأمر. نعم.. هذا ما سوف أفعله ومع ذلك من المستحيل أن يصبح له طفل!

- عزيزي.. أعتقد أن "سارة" هي التي سيكون لها الطفل. ويسعدني أن أؤكد لك أنها قادرة على أن يكون لها طفل أو طفلان أو عشرة أطفال.

- كفاك مزاحا! تفهمين ما أعنيه جيدا.

فاجابته "ميريام" بعينين طارفتين:

- إطلاقا. هل تفضلت وتكرمت بإفادتي بسبب استحالة أن يكون له طفل؟

فقال:

- لأنني أنا نفسي ليس لي طفل.

- معذرة؟

فقال "بيتر" -في نفس اللحظة-:

- ماذا؟ ما الذي أصابني؟ يا إلهي! تتطور الأمور بسرعة خارقة لقد وقعت في الحب. هانذا غارق في حبها. آه.. هذا جميل! هائل! والامتحانات.. وسداد الديون. والوقت الذي ينقضي.. ثم الطفل.. وداعا أيها الطفل!

فقالت "ميريام" معلقة:

- واضح أنه متأثر بهذا الموقف إلى حد بعيد.

- توافقين يا "ميريام" اليس كذلك؟ إنك لماحة سريعة الإدراك. ماذا كنت سأفعل بدونك؟ لكن انصحيني بما ينبغي اتباعه.

- عزيزي "بيتر"... مادمت لا تعلم وأنت في مثل هذه السن شيئا عن كيفية إنتاج طفل فيؤسفني أنني لن أكون ذات فائدة كبيرة لك.

- "ميريام"!

- اهدأ يا صغيري. اهدأ.

- لا!

– حسنا. ظريف دائما. اتركني أستوعب الموقف. إنك غارق في الحب وهذا أمر رائع. سيذهب عقل والدتك فرحا وسرورا. أفترض أن المحبوبة هي الدجاجة "كاليكو"؟

– تماما. أحب "كاليكو سميث".

– لماذا إذن هذا الحزن البادي يا صغيري؟ كونك تحب أحدا ينبغي أن يملأك فرحا وسرورا. أما فيما يتعلق بما تبقى فلم أفهم شيئا. أقسم على ذلك. أعني الامتحان وديون الـ..

– وقرعة العسل! نعم قرعة العسل.. لم تتفهم رسالتها ذلك المساء في "الموزة الزرقاء".. على الرغم من بساطتها. وبذلك سقطنا مرة أخرى في نفس التكرار الباعث على الملل.. المال والأوضاع الاجتماعية. كم أن هذه الأمور شديدة التعقيد.

قالت "ميريام" مرددة بتأن:

قرعة العسل والموزة الزرقاء. لقد تفككت آلية عقلك مرة أخرى يا "بيتر"!

– "الموزة الزرقاء"! أنت لا تغادرين منزلك قط إذن يا "ميريام". الخروج سيفيدك كثيرا. يتيح لك موضوعات أخرى للحديث غير ما يتعلق بالخادم عندما تتصلين بوالدتي العزيزة هاتفيا. "الموزة الزرقاء". هو اسم أحد المقاهي بمنطقة "تامب".

قالت على نحو مفاجئ:

– كنت أعرفه.. لمن..

فقاطعها قائلا:

– حسنا.. سأحاول أن أكون واضحا. قامت جدة "كاليكو" بتربية وتنشئة "كاليكو" على أثر وفاة والديها في حادثة سيارة أودت بحياتهما وتوفيت بعد ذلك الجدة وبذلك أصبحت تعيش بمفردها. تريد أن تصبح محاسبة معتمدة.

لم تفارق عينا "ميريام" وجهه على مدى فترة روايته وحتى أنهاها

بقوله.

– وهكذا تقاوم "كاليكو" المشاعر التي تكنها لي. إنني لا أتباهى يا "ميريام" أنت تعرفينني جيدا. لهذا فهي.. ماذا قلت؟

– حدثتني للمرة الثامنة عشرة عن ظروف تلك الفتاة اللذيذة والتي اشتد إعجابي بها لقوة عزيمتها وشجاعتها وإصرارها. كان من الممكن أن يكون حظك أكثر سوءا.

– هل هذا هو كل ما يمكنك أن تقوليه لي؟

– صه. سأكون في مقام والدتك إذن مع علمي التام بأنها لن تعترض على ذلك. ليس أمامك سوى حل واحد هو التوفيق بين ظروفكما. لـ"كاليكو" أسلوبها في المعيشة ولها حياتها ولها أهدافها. واختيار التوقيت المناسب ينبغي أن يكون حقا لها. أما أنت يا بني العزيز فينبغي عليك أن تفهم وللمرة الأولى طوال حياتك أنه من غير الممكن أن تحصل على ما تريد فور ما تعن لك رغبة فيه.

– لا يعجبني قولك هذا. تجعلين مني صورة بشعة كما لو كنت قد أمضيت حياتي جالسا فوق مقعدي في انتظار من يقوم على خدمتي. إنك غير محقة في ذلك. بذلت جهدا كبيرا لإنجاح شركة "اندرسون" الهندسية وازدهارها.

– هذا صحيح. لكنني أعرفك أيضا منذ طفولتك. والدتك وأنا كنا صديقتين. أذكر جيدا أنك قررت أن تمشي وأنت في سن أحد عشر شهرا أو حتى قبل ذلك! ومشيت. بدون مشقة ولا تقرحات ولا التواءات واستمرت طفولتك على هذا المنوال كلما أردت شيئا كنت تجد أقصر الطرق وأسرعها للحصول عليه.. صحيح أنك قد بذلت جهدا خارقا لكن ما أطلبه منك هو أن تقارن مسارك بمسار تلك الفتاة الشابة على سبيل المثال.

– محاضرة مشوقة! وأخيرا أصبحت أعترف بأن لا غبار على آرائك. واقع الأمر أن "كاليكو" قد واجهت من المصاعب ما يزيد على مائة

ضعف مما تعرضت أنا له.. وكلما اتجه تفكيري إلى اضطرارها إلى أن تتنكر كدجاجة من أجل الحصول على أجر.. على أية حال أصبحت الآن جزءا من حياتها! وتتوفر لي وسائل مساعدتها وسداد ديون مصروفاتها الدراسية وتوفير منزل لها. وبذلك يمكنها تقسيم وقتها كما تأمل.. ما بين عملها وبيني. تعلمين يا "ميريام" أنها لو كفت عن تفكيرها الأحمق هذا فمن الممكن أن يتحقق لنا كل هذا.. اليوم.

– كفى يا بني. ليست الفتاة إنسانا آليا يمكنك برمجته وفقا لنزاوتك.

– لكن..

– لا. ينبغي عليك أن تضيف كلمة "الصبر" إلى قاموس مفرداتك. لا أستطيع أن أتذكر واقعة واحدة شعرت فيها بالحاجة إلى ما تعنيه هذه الكلمة. عندما أصبت بتلك الحساسية قدمت بنفسك على أطنان من الكتب القديمة التي وضعت ما بها من وصفات موضع التطبيق العملي. وعلى نحو فوري! جربت كل ما أمكنك قراءته. والآن.. الحالة التي نحن بصددها مختلفة تماما. صبرا!

قال –ناهضا من فوق مقعده:

– حسنا.. طالما أن الأمر كذلك.. لكنك على علم بأن شبابي لن يتجدد. وقد أصبحت على أبواب الثلاثينات.. نضجت بما يكفي لتكوين أسرة.. وللاستقرار و... آه! ولم يكن وقوعي في حب "كاليكو" شيئا اختياريا. كل ما أعرفه عن هذا الأمر هو أنني أحبها وحسب وأنني بحاجة إلى...

– الصبر. الصبر. الصبر.

– أسطوانتك مشروخة يا "ميريام".

*****

في السادسة والنصف ضغط "بيتر" زر جرس باب شقة السيدة "وذرباي" وكله إصرار على أن يقنع "كاليكو" بالذهاب معه لتناول

العشاء خارج المنزل وبأنه ينبغي أن تحصل على قدر من الراحة. ساعة أو ساعتين.. لا أكثر.

ضغط على الزر مرة أخرى وبإلحاح أكبر.

وفتح الباب.. وظن "بيتر" أنه سوف يسقط مغشيا عليه. همس بعد أن تماسك قليلا:

– طاب يومك يا سيدة "وذرباي".

– طاب يومك يا "بيتر".

– إنني.. من غير الممكن أن تكوني هنا.. أعني أنني قد ظننت أن "كاليكو".. لم تخبرني بأنك ستعودين اليوم.

تنهدت قائلة:

– هذا صحيح. عدت بسبب دوار البحر. إنه مخيف! أصابني منذ أن وطئت قدماي أرض السفينة. غادرتها عند أول رسو لها. بذلت جهدا كبيرا للحصول على مكان بالطائرة. حلم مزعج يا عزيزي.

– إنني آسف...

– هذه هي الحياة! وقد مررت بظروف كثيرة كهذه. لازلت أذكر..

– هل هذا يعني..

– آه. نعم. "كاليكو".. تلك الفتاة الساحرة. لقد أطلقت لي اسما على السمكة الحمراء أليس هذا ظريفا؟ "هوميروس"! حسنا. اسمح لي يا "بيتر" لأنني أشعر بإرهاق طفيف.

– نعم.. بكل تأكيد وإنني آسف على إزعاجك.

– لا بأس. طابت ليلتك..

وأغلق الباب.

التف "بيتر" حول نفسه متوترا فجأة.

لم يعرف أين كانت تعيش!

*****

في التاسعة من مساء ذلك اليوم وقف "بيتر أندرسون" شبه نادم وشبه غاضب يوجب على نفسه الصبر تحت شرفة أحد الأبنية التي لابد أن تكون قد شهدت أياما أفضل منذ زمن طويل جدا. إذ تلاشى لون طلائها بينما أحدث أحد مصاريعها صريرا مؤلما. وكان الشارع مفتقرا إلى الإضاءة الجيدة.

لقد بذل على الأقل جهدا يؤهله لاستحقاق شعار الشرطة السرية. لم يكن الاهتداء إلى عنوان إقامة "كاليكو" بالأمر اليسير. فبسبب الامتحانات كانت المؤسسات التي اعتاد الطلاب ارتيادها مهجورة. ظل ينتقل من مكان إلى آخر يسأل جميع من كان يلتقي بهم لكن أحدا منهم لم يعرف "كاليكو".

وعندما استبد به اليأس توجه إلى منطقة الملاعب الملحقة بالجامعة وهناك التقى بشيء عملاق كان اسمه "هوب هندرسون" وكان "ستيكس" بحجمه ذلك يعتبر رجلا نحيل القوام بالمقارنة بهذا الشاب وبعد عشرين دقيقة من النقاش الحار كشف له هذا العملاق عن عنوان "كاليكو" بعدما اقتنع بحججه وبراهينه.

بذلك استطاع هذا المخبر النابغة أن يقف أمام ذلك البناء المتهالك يذرع الطريق بخطواته القلقة وهو يتساءل: كيف يمكنها مقاومة العواصف التي تكثر صيفا؟ كان ذلك بمثابة معلومة غامضة بالنسبة له. ومن الغريب أن باب المدخل كان مثبتا إلى الهيكل بقضيب حديدي واحد رفيع.

التقط "بيتر" نفسا عميقا مسترجعا قائمة العقاقير التي كان قد تعاطاها قبل مجيئه.. (تساءل لماذا لم يتناول شيئا يقيه من الكوليرا؟) ثم دفع الباب بحذر. من الغريب أن الباب لم يبق في يده.

دهش على الفور إزاء الرائحة التي شمها. كانت رائحة شمع العسل المشوبة برائحة الليمون. وكان كل شيء في قمة النظافة وكان كل شي بحالة سيئة للغاية. اكتسى مقعدا المدخل بنسيج باهت وكانت سجادة

السلم مستهلكة حتى النخاع.

بدأ يصعد الدرج. تأوهت الدرجات تحت ثقله وارتعش الدرابزين على نحو مثير للقلق عندما أمسك به.

سمع همس أصوات وضحكات عالية وسمع انبعاثا مفاجئا لموسيقى مكبوحة زادت أعصابه توترا مع ارتقاء درجات السلم.

بلغ الطابق الأخير فوقف ينظر من حوله مقطبا حاجبيه. رأى عند نهاية الممر بابا ذا الواح زجاجية لابد أن يكون هو باب الحمام.

تقدم سيرا على أطراف أصابعه فرأى بابا أولا مفتوحا جزئيا.

كانت "كاليكو" في حلة مناسبة جالسة فوق سرير ملتصق بالجدار تقرأ مستندات موضوعة أمامها.

كان هناك صوان صغير بالقرب من السرير وسجادة ملونة على أرضية الحجرة. جلست "آبي كولب" فوق شيء أشبه بمقعد مجنح كبير الحجم باهت الألوان أسند "ستيكس" عليه جسده الضخم وانبعثت من داخل الحجرة أنغام موسيقى كلاسيكية.

كان جميعهم مستغرقين في الاستذكار بحيث لم ينتبه أحد منهم إلى أن "بيتر" كان يراقبهم منذ بضع دقائق.

حدث نفسه ثائرا: لا. لا تنتمي "كاليكو" إلى وسط كهذا. لا بأس كان المنزل نظيفا لم تكن هناك كتابات على الجدران ولا نفايات فوق الدرج. ومع ذلك.. ستواصل "كاليكو" الإقامة بعدما تنتهي من أداء امتحاناتها هنا.. في الفترة التي ستبحث فيها عن عمل وإلى حين تسدد ديونها والوقت يمضي.. وهو لا يمكنه الانتظار. لقد طالبته "ميريام" بالصبر والصبر! وحتى أي عدد من الأشهر أو ربما السنوات سوف ينبغي عليه أن يصحبها إلى هنا بعدما يكون قد دعاها إلى العشاء في أرقى مطاعم المدينة بعدما يكون قد ذهب معها إلى أحد المسارح... لا. لا. لا مجال لذلك.

كانت "كاليكو سميث" هي المرأة التي أحبها قلبه، المرأة الوحيدة التي

أحبها في حياته والتي سوف يظل يحبها دائما. لا ينبغي أن تعيش هنا.. فهي امرأته وبوسعه أن يقدم إليها ليس حبه فحسب بل الراحة التي تستأهل أن تعرفها. أما هذا الحي وهذا الأسلوب المعيشي ففي قمة الغرابة بحق! قال:

– طاب يومكم.

فارتفعت ثلاثة رؤوس على الفور وحدقت إليه ثلاثة أزواج من العيون الدهشة.

قالت "كاليكو" –وهي تنهض من فوق الفراش–:

– "بيتر".. أخفتني. كيف توصلت إلى معرفة عنواني؟

قال –دون أن يبتسم–:

– لم يكن ذلك بالمهمة السهلة. هل كنت تأملين في ألا أهتدي إليك أبدا؟

– لا. لا بكل تأكيد. عادت السيدة "وذرباي" على غير المتوقع قبل الموعد المحدد... كنت أعتزم الاتصال بك هاتفيا غدا بعد الانتهاء من أداء الامتحان؛ لأن لدي الكثير مما يتعين علي مراجعته في هذه الليلة مما اضطرني إلى إرجاء الأمر حتى الغد.

– فهمت. هل يمكنني أن أقول لك كلمتين.. لو سمحت بإعطائي بضع لحظات من وقتك؟

فأسرعت "آبي" تقول:

– بكل تأكيد. هيا بنا يا "ستيكس" احمل قامتك ذات المترين وتعال معي إلى حجرتي.

فنهض "ستيكس" قائلا –بينما صوب نظراته نحو "بيتر"–:

– "كاليكو" نحن قريبان منك.. إذا ما كنت بحاجة إلينا.

فتداركته "آبي" بقولها:

– لن تكون بحاجة إلينا. هيا.. أسرع!

وانتظر "بيتر" فلم يتحرك ولم ينطق بكلمة حتى غادرا الحجرة.

عندئذ سألها:

– هل يمكنني أن أغلق الباب؟

فأجابته بإيماءة برأسها. رأته يتأمل حجرتها. فقالت:

– ليست على مستوى الفخامة أليس كذلك؟ لكنها بيتي.. هل... هل جلست؟

– لا.

فقالت –وهي تهبط من فوق السرير–:

– كما يحلو لك.

قالت –متأملة في صمت بينما رمقته بنظرة جانبية–: كم أن هذا غريب، "ستيكس" أكبر حجما وأكثر امتلاء من "بيتر" ومع ذلك يبدو هذا وكأن وجوده يملأ الحجرة تماما. بدا في قمة الجمال والجاذبية والـ.. لكن ما الذي كان يفعله هناك؟

– لديك ما تريد أن تقوله لي يا "بيتر"؟

قال –محاولا ألا يبدو صوته مرتعدا–:

– "كاليكو"... "كاليكو" إنني أحبك.

سألته –وقد أصابها ما يشبه الدوار:

– نعم؟

– قلت إنني أحبك.. إنني أنا "بيتر اندرسون" أحبك أنت.. "كاليكو سميث".

– أنت.. آه. لا.. إنك كاذب! مخطئ، نظراتك إلي مجردة من كل رغبة ومن كل مشاعر، تتعامل معي بقسوة كما لو كنت قد تركت سيارتي تنتظر في البقعة المخصصة لسيارتك.

– آسف يا "كاليكو". كان من الصعب علي أن أقول لك ذلك في محيط وبأسلوب أكثر.. أكثر رومانسية آخذا في الاعتبار أيضا أنك قد اختفيت حتى دون أن تتركي لي رسالة ما.

–أخفض صوتك. لابد أن يكون جميع من بالحجرات قد سمعوا ما

قلت. الفواصل الجدارية ليست سميكة جدا.

– كل شي هنا نحيل ورديء بحيث إن المبنى كله سينهار عند هبوب أول عاصفة.

فقالت مبتسمة:

– ونذهب نحن أدراج الرياح. آسفة يا عزيزي. هذا المبنى كما تقول ليس أنيقا جدا لكنه نظيف وصاحبته سيدة عجوز طيبة. حاولت مرارا وتكرارا أن أفهمك أننا لا ننتمي إلى أصول اجتماعية متشابهة لكنك رفضت أن تصغي. على أية حال أتيت إلى هنا بنفسك وهذا أفضل. لأنه يمكنك أن تكون فكرة عن المكان الذي أعيش فيه. هذا هو البيت بالنسبة لي ولا أسمح لك بالسخرية منه.

– لا أسخر. كل ما قلته هو أن هذا المنزل.. أووه. لننس هذا فلا أهمية له. "كاليكو" أحبك.

– وأنا أمنعك من أن تحبني يا "بيتر أندرسون" هل تسمعني؟ لن يمكنني أن أحتمل حبك لي. أعلم كيف تنتهي مثل هذه المشاعر شاهدت العديد من الأفلام السينمائية وقرأت الكثير من الروايات الرومانسية ودققت النظر من حولي على حد سواء. لست تتحدث إلى امرأة مكتملة الحماقة هنا.. ربما أكون كذلك إلى حد محدود ولكن...

– "كاليكو"...

فقاطعته بنبرة حادة:

– لا! لن أحتمل المزيد من هذا النوع من الاعتراف. لأنني أعلم ماذا سيكون السؤال التالي. ستقول: "ما رأيك في يا "كاليكو"؟ هل تحبينني ولو بقدر طفيف؟" وهذا ما أمنعك من أن تقوله يا "بيتر أندرسون" لأنه... لأنه ينبغي علي أن أنظر إلى عمق نفسي وأن أستجمع أفكاري بحثا عن الإجابات لهذه الأسئلة وربما أكتشف أنني أحبك.. إنني أحبك من كل قلبي ولا أريد أن أحبك مهما كان الثمن. والآن ارحل واتركني وشأني اتركني أراجع هذا الفصل الثاني من قانون

التفاليس للمرة الثالثة الآن و..

ثم صمتت تماما كما لو كانت الكلمات قد احتبست بحلقها. سألها –بصوت عميق مقتربا منها–:

– "كاليكو".. ما رأيك في؟ هل تحبينني؟ بقدر طفيف على الأقل..

– إنني..

تراجعت نحو الخلف بمقدار خطوة فاصطدمت بالفراش وفقدت توازنها. أسرع "بيتر" نحوها وأبعد الكتب والكراسات الموضوعة فوق غطاء الفراش مستندا بكل ثقله على "كاليكو". سألها:

– ماذا ستقولين؟

وكانت شفتاه قريبتين من شفتيها إلى حد كبير. نظر في عينيها وسمعت أذناه خفقان ذلك الأسى الغريب اللذيذ الذي أحاط بقلبها وروحها وأعصابها.. وسيطر عليها جسدا وروحا.. بالكامل منذ اللحظة التي ضمها فيها بين ذراعيه.

– ماذا ستقولين؟

ولم تعلم ماذا تقول. كانت في حالة توتر شديد. لكنها أحست بسعادة غامرة تسيطر عليها وهي قبالة صدره تطوقها ذراعاه ويغرقها عبيره، بينما أخذ يرمقها بنظرات جادة عميقة حتى يفهم ويرى أنها تريده وأنها قد أجابت منذ زمن طويل عن سؤاله هذا.

إنها تحبه. يا إلهي.. كم تحبه! وإذا لم يقبلها خلال الثانيتين التاليتين سوف تتحرق شوقا إليه. أحست برغبة شديدة في أن يضع شفتيه فوق شفتيها فتتذوقه وتحسه وتغرق فيه وتستسلم إليه. قالت هامسة:

– آه يا "بيتر".

وطوقت عنقه واندفعت أصابعها إلى شعره والتقت شفاههما فقبلها.

وكانت القبلة عميقة ضارية ممتعة اختفت في ظلها الحجرة الصغيرة والفراش الضيق والمنزل المتهالك والأثاث المتواضع. لم يصبحا بعد في "كانساس" ولا في "تامب" في "الأريزونا" بل انطلقا إلى مكان لا وجود

له إلا من أجلهما. ولم يصبح هناك وجود لأي شيء آخر سوى تلك القبلة الطويلة والرغبة التي اشتعل صداها في جسديهما.

– أرجوك قولي لي. حدثيني. إنني بحاجة إلى أن أسمع الإجابة.

صاح بداخلها صوت قال: لا... واقشعر بدن "كاليكو". لا ينبغي أن تبوح بما سبق لقلبها أن قاله. ففي ذلك مطلق الحماية لها؛ لأن كل شيء سوف يتبدد وبعد ذلك ستجد نفسها مرتبطة محمولة في الموجة لا. لا. لا.. ولم تمض لحظة حتى سمعت نفسها تقول:

– أحبك يا "پيتر".

– أووه...

وضمها بكل حنان وبكل رقة مما جعلها توشك أن تبكي.

قال متنهدا:

– أحبك يا "كاليكو".

أجابته –قابضة على كتفيه بشغف–:

– نعم.. أي نعم.. هنا.. في عالمي أنا.

– في عالمنا يا "كاليكو". كل مكان نحل فيه يصبح عالما لنا.

– لا ليس هذا..

– صه..

قبلها ثانية ثم نهض متوجها إلى الباب حيث أقفله عندما عاد كانت واقفة أمام الفراش في مواجهته تنتظر عودته.

لم تفترق عيونهما وبدا وكأن يديهما كانت تتحرك تلقائيا بحيث وقف كل منهما قبالة الآخر يعطيه حبه ويمنحه نفسه..

*****

لم يعش "پيتر" لحظات كهذه قط؛ لأنه لم يكن قد أحب بحق من قبل. لقد فاز بـ"كاليكو" وأصبحت له وسيكون المستقبل لهما معا. سيطرت عليه سعادة غامرة مكتملة لم تكن قد تحققت له من قبل. قال

مبتسما:

– كم أنا سعيد. نحن بحاجة إلى أن نتحدث معا يا "كاليكو". حتى نخطط معا للمستقبل.. لكن ليس على الفور..

يراودني إحساس غريب... إنني واثقة بأن "ستيكس" و"آبي" لابد أن يكونا قد سمعانا.

فقال ضاحكا:

– عظيم جدا. فمثل هذه الأمور معدية.. أسرع انتشارا من الحساسية التي أعانيها.

– مقارنة جميلة يا "پيتر أندرسون". ظريفة جدا... ورقيقة. آه.. أشعر براحة شديدة.. تحفز لدي الرغبة في النوم.

– لست بحاجة إلا لأن تغمضي هاتين العينين الزرقاوين الساحرتين.

– سوف نتحدث يا "كاليكو" لكن في وقت لاحق. لدي الكثير مما أريد أن أقوله لك. هذه ليلتنا ولن يستطيع شي في الوجود أن يمحو ما نحمله منها من ذكريات. أحبك يا "كاليكو سميث".

فقالت هامسة –قبل أن تستغرق في النوم تماما–:

– وأنا أيضا.. أحبك يا "پيتر.... أندرسون".

لم تكن نائمة بل غارقة في سعادة تتقلب في محيط دافئ ظليل، في محيط من النسيان والاسترخاء.

احتفظ "پيتر" بها في حضنه حيث ضم إليه جسدها ثم استسلم هو الآخر إلى النعاس الذي كان يناديه.

الفصل الثامن

فتحت "كاليكو" عينيها وتثاءبت ثم تمطت. علمت -دونما حاجة إلى تأكيد- بأنها كانت السادسة صباحا. إذ كان لها منذ سنوات طويلة تلك الساعة المنبهة المدهشة التي لم تخطئ قط.

قالت محدثة نفسها: خمس دقائق أخرى خمس دقائق أخرى أقضيها في سكون تام... ويبدأ بعدها النشاط. كانت تعلم بأنها سوف ترفع أغطية الفراش عنها وهي تزمجر وتتذمر قبل أن تضع قدما على الأرض. لكن لا... لم يكن هذا صباحا.

استسلمت إلى ما يشبه النعاس لكنها سرعان ما تنبهت إلى إحساس غريب ما بداخلها.

لم يكن هذا الصباح مثل غيره مما سبق أن عاشته. فهذا الصباح.. "بيتر". "بيتر أندرسون"!

وعاودتها ذكريات الليلة السابقة على الفور. كانت مذهلة لذيذة كفيلة بأن تذهب العقل. وعاودها الحنين إلى الرجل الذي أحبته فتذكرت القبلات التي تبادلاها وكادت أن ترى وأن تعيش المداعبات والعناق.

"بيتر" الذي صارحها بحبه لها و"بيتر" الذي اعترفت له بحبها "بيتر" الذي سلبها فؤادها ولا يبدي استعدادا لإعادته إليها.

كم تحبه وكم تتمنى لو أنها لم تحبه. أحست بوحدة قاتلة وبضعف، فقد فقدت كل سيطرة على ذاتها.

الوقوع في الحب وأن تصبح محبوبة شخص متميز ينبغي أن يملأها هذا سعادة ينبغي أن يرقص قلبها وتغني روحها. لماذا إذن يراودها كل هذا الخوف؟ لماذا تحلم بالفرار حتى تنقذ نفسها، بالاختباء في مكان لا يعرفه أحد ولا يستطيع هو التوصل إليه؟

أو بأن تعود إلى حياتها الأولى بحدودها وروتينها وإلى عملها الذي

طالما عكفت عليه بهدف تحقيق الأهداف التي كانت قد وضعتها نصب عينيها الواحد تلو الآخر.

ما الذي ستفعله؟

والامتحان الذي ينبغي عليها أن تؤديه هذا الصباح وتجتازه بنجاح!

نهضت من فوق فراشها متمايلة حيث سعت إلى خزانة ملابسها فرأت قصاصة ورق مثبتة عليها. قرأتها:

- أحبك يا "كاليكو" وسألتقي بك مساء اليوم - "بيتر".

وانفجرت باكية.

*****

ارتفعت درجة حرارة الجو بقدر كبير. كان اليوم طويلا مرهقا اعتلت "كاليكو" الممر الرئيسي بالحرم الجامعي.

أحست بإرهاق شديد. لم يخل من التوتر وكان ينبغي عليها الانتظار بضعة أيام قبل إعلان نتيجة الامتحان لكنها لم تكن في شك من أنها سوف تجتازه بنجاح. كانت على ثقة بذلك منذ أن تسلمت ورقة الأسئلة وطالعت أول سؤال فيها.

توجهت بعد أداء الامتحان حيث أعطت بعض الدروس الخصوصية وقامت بترتيب حجرة الاستقبال الملحقة بمكتب أحد الأساتذة، ثم قامت في النهاية باصطحاب كلب أحد أساتذة الجامعة للنزهة. وظلت طوال تلك الساعات تفكر في "بيتر".

كانت في حالة استعداد تام للإجابة عن ذلك السؤال الحرج الذي لم يفارق ذهنها قط "ماذا أفعل؟" عندما التقت بصديقيها الجالسين فوق أحد المقاعد الطويلة يتحدثان معا...

قالت "آبي" مبتسمة:

- أهلا بك يا "كاليكو". صحبة جميلة تلتقين بها.. أليس كذلك؟

مساء الخير يا "آبي" .. نعم. هذا ظريف جدا. أهلا يا "ستيكس"! طاب يومك يا "بيتر".

*****

ابتسم "بيتر" لها وأحست بمثل الدوار عندما رأت نظراته المتقدة رغبة. ظلت ساكنة حيث كانت غير قادرة على الحركة كما لو كانت تحت تأثير تنويم مغناطيسي بفعل ما رأته.

سألها "بيتر" -بنبرة حانية-:

- "كاليكو" ... ما هو اللون المفضل لديك؟

قالت -وقد اتسعت عيناها-:

- ماذا؟

أمسك بذراعها قائلا:

- تعالي واجلسي بجواري.

طبع على شفتيها قبلة عابرة.. أحست برغبة في أن يواصل تقبيله إياها ويشفعه بمداعبته المحببة لكنها خجلت من حضور صديقيها فلم يكن بالمكان سواهم.

رأت من خلال نظرة جانبية أن "ستيكس" و"آبي" قد ابتعدا بينما قال "بيتر" -هامسا لها-:

- تطورت الأمور بيننا بسرعة مذهلة وكان من دواعي سروري، لكننا لم نسع مع ذلك إلى معرفة كل منا الآخر. ينبغي أن نتدارك هذا الأمر على وجه السرعة. ما هو اللون الذي تفضلينه؟

- الأزرق.

- وهو ما أفضله أيضا! تفضلين القراءة أم مشاهدة التليفزيون؟

- القراءة. وكتابي المفضل هو دائما ما أقدم على التهامه تقريبا.

قال:

- جميل جدا. أحب ذلك، والرياضة؟

- لم أمارس أيا من الألعاب الرياضية لعدم سماح وقتي بذلك. لكنني أحب مشاهدة "ستيكس" وهو يلعب كرة السلة. إنه متميز.

- "كاليكو" .. كم.. كم عدد الأطفال التي تحلمين بإنجابهم؟

قالت لاهثة:

- آه يا "بيتر".. لا!

- لا ماذا؟ لا تريدين أن أفكر في المستقبل؟ في جميع الأشياء المدهشة التي سوف نقوم بها وفي أن نعيش معا؟ لا تريدين أن أتذكر الليلة الماضية.. ليلتنا.. ليالينا الجميلة الظريفة إلى حد لا يصدق؟ ألا تحبينني من كل قلبك ومن كل جسدك ومن كل روحك؟ جميلتي "كاليكو" إنك تطلبين المستحيل!

قالت محدثة نفسها: إنه هو الذي يطلب منها المستحيل ومع ذلك كانت تريد وكم كانت تريد.. أن تكون زوجة له وأما لأطفاله تمنت أن تشيخ بقربه وأن تكون بقربه حتى النفس الأخير.. حتى يفرق الموت بينهما.. لكن كيف السبيل إلى تنظيم حياتها؟ وكيف يمكنها أن تقوم بكل هذه الأدوار معا: الزوجة المحبة والأم والمرأة العاملة والمحاسبة التي تسدد ديونها.. لا.. لن يمكنها أن تتولى كل ذلك معا.

يطلب "بيتر أندرسون" منها المستحيل. وهذا ما يزيدها حزنا.

سالت الدموع على وجنتيها. فسألها "بيتر" وهو يمسح دمعة بطرف إصبعه:

- "كاليكو"! ماذا.. ما الذي حدث؟ كان يومك هذا مرهقا. أليس كذلك؟ لازلت أذكر ضغوط أيام الامتحانات.. غير محتملة في الواقع.. ثم إن موسم الامتحانات ليس..

ثم أخذ يعطس قبل أن يستطرد قائلا:

- حسنا. لماذا لا نلجأ إلى أحد المطاعم مكيفة الهواء؟ عشاء شهي سيكون أنسب شي لنا.

- ولكن...

– ينبغي أن تكون تغذيتك صحيحة لو أردت التفوق، وجبة غنية بالبروتينات وبالڤيتامينات ستساعدك على أن تكوني بصحة جيدة. وهذا ما أنصح به. شريحة لحم وسلطة وخضر وفاكهة.

طبع على شفتيها قبلة سريعة ثم نهض قائلا:

– مستعدة؟

– لكن.. حسنا. لا بأس يا "پيتر". لنتناول العشاء.

– عظيم! ألا تريدين أن تتركي حقيبة يدك بالبيت ونحن في الطريق إلى المطعم؟

– لا. سأحتفظ بها معي. اعتدت أن أحمل هذه الحقيبة العتيقة بكل ما تحويه معي دائما حتى أصبحت أشعر بأنها جزء مني.

عبس عندما نظر إلى الحقيبة مليا.. قال بنبرة بطيئة:

– نعم.. إنني.. متفهم ما تقولينه.

– هل أصابك شرود مفاجئ؟

– لا.. إنني (عطس)! بسببي إلى أن أخسر معركتي مع هذه الأزهار. أسرعي حتى ننقذ أنفسنا من رحيقها!

سارا صامتين نحو ساحة الانتظار وكان "پيتر" مطوقا خصر "كاليكو" بذراعه. أوجبت على نفسها أن تكف عن التفكير وأن تتجاهل كل تلك الأصوات المزعجة التي ألحت على ذهنها محذرة فكانت بمثابة كتلة جرانيتية ضخمة هبطت فوق قلبها.

قررت أن تركز اهتمامها على تلك اللحظة التي تعايشها وعلى وجبتها..

وما إن اقتربا من المطعم الصغير الذي كان يفكر فيه حتى أحست "كاليكو" وكأنها تطفو خارج ذاتها كما لو كانت قد أصبحت هي المشاهدة لحركاتها وحركات "پيتر" على حد سواء.. فرأت بداخل سيارة أنيقة شابا وفتاة تشبههما تماما..

وكانت تسمع إجاباتها عن الأسئلة التي كان "پيتر" يطرحها عن ذلك

اليوم. ورأت نفسها تتحدث مثل إنسان آلي.

أصبحا بداخل المطعم وأشارت نادلة شابة لهما إلى المنضدة الخاصة بهما وطلب "پيتر" العشاء الذي كان قد ارتآه.

كان يتحدث معها –أليس كذلك– كان يتحدث معها؟ لكن ما الذي كان يقوله؟ كانت في حالة من الاضطراب.

عادت فجأة إلى أرض الواقع عندما سمعته يكرر سؤالا للمرة الثالثة:

– لكن لماذا لا تحضرين حفل توزيع شهادات التخرج؟

– لأنه لا يوجد سبب يحتم علي الذهاب. فلا يعنيني من كل ذلك سوى الشهادة نفسها. أما ماعدا ذلك من أحاديث وأزياء... ثم إنه ليس لي أقارب يشرفني حضورهم هذا الاحتفال معي.

فقال بنبرة رقيقة:

– لكن.. ساكون معك هناك.

– هذا كرم منك يا "پيتر". أشكرك لكن لا ضرورة لذلك بحق ليست لي رغبة في الذهاب. وتتفق "آبي" معي في هذا الرأي. تقول إنها لا تحتمل هذه الأحاديث التي لا تنتهي ثم إن أسرتها تعيش في "شيكاغو" ولا تتوفر لهم إمكانيات المجيء لذلك..

– والحال كذلك لماذا لا يكون لنا –أنت وأنا– احتفالنا الخاص بهذه المناسبة؟ تعلمين كيف؟ بأن نذهب لتناول العشاء بمكان جميل ثم نشرب نخب نجاحك.. ونخبنا.

– مكان جميل؟

– نعم. بأحد المطاعم الفاخرة وأعرف منها الكثير.

– ليس لدي شيء مناسب أرتديه.

– سأشتري لك ثوبا.

– لا.

– لماذا لا؟ إنه أمر طبيعي جدا أن يتلقى المرء هدايا بمناسبة نجاحه. هذه إذن هداياي لك: عدد من الملابس الجميلة وثوب سهرة طويل

جدا. لا غرابة في هذا. وأعتقد أنها ستكون أفضل من دستة الأقلام الحبر. والأزواج الثانية والعشرين من أزرار الأكمام التي تلقيتها لدى تخرجي في الجامعة. اسمعيني! وإذا كنت ظريفة معي فسيكون هناك أيضا قلم حبر إضافي لك!

انفجرت ضاحكة وهي تقول:

– كم أنك كريم جدا وظريف جدا و..

ثم صمتت فقال:

– قوليها! قولي "أحبك يا "بيتر"".

– آه كم أحبك يا "بيتر" أحبك ولكن..

– كفى، كلمة "لكن" هذه لا تتسق إطلاقا مع عبارة كهذه التي قلتها الآن. هيا نتناول إذن هذه الوجبة الغنية بالفيتامينات ثم أصحبك إلى بعض المحلات فهي تغلق أبوابها في ساعة متأخرة مساء اليوم وبذلك سيكون أمامنا متسع من الوقت لانتقاء الثوب المناسب.

– كنت أريد أن أراجع ما استذكرته مرة أخيرة... لكن... لا أهمية كبيرة الآن فإني أحفظه عن ظهر قلب!

– حسنا ابدئي في تناول العشاء أرجوك.

– لكن تعلم.. لست واثقة بانه يمكنني قبول هذه الهدية. لأنها شخصية جدا.

كبح لفظا ما ثم مال نحوها قائلا:

– عزيزتي "كاليكو". أعتقد أنك قد قبلت شيئا أكثر خصوصية مساء أمس فوق فراشك الصغير الضيق..

امتقع وجهها وهي تقول:

– أووه..

وبعد انتهاء الوجبة أخرج "بيتر" من جيبه علبة فضية صغيرة فتحها بكل عناية فرأت "كاليكو" بداخلها حبات دواء بجميع الألوان فسألته –مشيرة إلى العلبة بإصبعها–:

– لماذا ذلك؟

– الحبوب البرتقالية لعلاج الحساسية، والبيضاء.. لحالة الجيوب الأنفية لأنها لا تتحمل الهواء المكيف... والوردية..

واستمر كذلك على مدى خمس دقائق كاملة و"كاليكو" تنظر إليه مبتسمة باهتمام فلم تكن قد التقت من قبل بشخص قلق بشأن صحته إلى هذا الحد. كان ذلك أغرب من الخيال فقد تحول "بيتر" في الحال إلى شيخ عجوز لكن عندما كان يمارس الحب؟ كان الوضع مختلفا تماما.. وكأنه رجل آخر.

رأت "كاليكو" بعدما استقلا السيارة ألا تقبل أن يهديها ثوبا وكان الحل غاية في البساطة وكان بيدها هي. إذ كان كافيا أن تقيس أي عدد من الأثواب وترفضها جميعا لأي سبب مختلق كان.

عندما دخلا أحد المتاجر المتخصصة جاءتها منه إشارة بالتوقف رأت الثياب معروضة بجميع أشكالها وألوانها المتدرجة بدءا من الألوان الرقيقة جدا وحتى الزاهية منها.

قالت –وقد أحست بقراراتها الراجحة تسيطر عليها–:

– آه.. لا..

فقال مقبلا صدغها:

– لنقم بجولة إذن. أي لون تفضلين؟

فهمست قائلة:

– الأزرق.

أحست وكأنها قد حملت إلى أحد الأقسام ممسكة من يدها حيث ارتدت ثوبا ما فتحولت على الفور إلى فتاة أنيقة كإحدى الفتيات اللاتي اعتادت رؤيتهن بالمحلات إذ كان الثوب الذي انتقته بسيطا راقيا في نفس الوقت وكان من الحرير الناعم الملمس على الجسد.

سمعت البائعة تبدي شديد إعجابها بينما ابتسم "بيتر" معبرا عن موافقته. رأت نفسها تستبدل الثوب ثم تغادر مكان قياس الملابس

وتتسلم الصندوق المستطيل المحتوي على ذلك الثوب.

استقلا سيارة "بيتر" وظلت قابضة على الصندوق بكلتا يديها. فقال ضاحكا:

– لن يكسر.

– آه يا "بيتر" ينبغي أن أتعامل معه كثروة.. فلم يكن لي من قبل ثوب بهذا الجمال. عندما ارتديته شعرت.. لا يمكنني الاهتداء إلى الوصف المناسب. أشكرك يا "بيتر" على هذه الهدية.

فقال –بينما انطلق بالسيارة–:

– أسعدني أن أقدمها إليك. أنت بحاجة إلى خزانة ملابس مملوءة بالثياب الجميلة يا "كاليكو" وهذا ما سيكون لك.

فقالت مفكرة:

– يوما ما.

فقال مسرعا:

– ليس هذا ما أعنيه. هل ستبدئين من جديد.. ستحاولين ثانية طردي من حياتك. وتعتقدين انني سوف أذعن بهذه البساطة... وأتلاشى مع السحاب. لكنني في النهاية.. أحلم. بحب كل منا الآخر نعم أم لا؟ ما أتحدث عنه هو حياتنا حياتنا نحن و...

– نعم ولكن..

صاح –وهو ينعطف مسرعا بحيث كاد جبين "كاليكو" أن يرتطم بحاجب الريح–:

– أريد الزواج بك! أليس كلامي واضحا. هل أتحدث بالصينية أم باللاتينية أم بماذا؟

سمعت صوت تنبيه شاحنة يدوي عاليا من خلفهما بمجرد أن اجتاز الإشارة الضوئية. قال –بصوت أكثر خفوتا–:

– لقد نجحت في العبور. كان ينبغي أن أعرض عليك الزواج بالأسلوب الرسمي طبقا للتقاليد.. بأن أحضر إليك حاملا باقة من

الزهور وإحدى تلك العلب الصغيرة المكسوة بالقطيفة الزرقاء. آسف.. فقد فقدت صوابي.

– "بيتر"..

– لا. اصمتي. اصمتي أرجوك لا مجال لأن أجدد طلبي وسط هذا المرور المزدحم. لن أنطق بكلمة أخرى قبل أن نصل إلى بيتي. وأرجو أن تحذي حذوي. اتفقنا؟

– لكن يا "بيتر"..

– صه! تبدو هذه الشاحنة وكأنها تتبعني طلبا لإثارة المتاعب فهي تتعقبني منذ خمس دقائق فاتحة أضواءها العالية. دعيني أركز.

تنهدت "كاليكو" ولزمت الصمت التام.

*****

وضعت "كاليكو" هديتها فوق أحد المقاعد بحرص شديد كما لو كانت تتعامل مع زهور من البورسلين الثمين.

تأملها "بيتر" وهي ترفع رأسها. كانت النساء اللاتي عرفهن سيلقين هذا الثوب الجديد فوق الفراش حتى تقوم الخادمة بتعليقه بجوار عشرات الثياب الأخرى التي يحتوي عليها الصوان حديث الطراز.

بدا على "كاليكو" إحساس بالبهجة المشوبة بالأسى. حدث نفسه: بأنه سوف يراعي ألا تكون بحاجة إلى أي شيء بعدما يتزوجان. كان على علم بأن جدتها قد أحبتها من أعماق نفسها ،أما الآن فأصبح هو الذي يحبها. وقد آن الأوان لأن تحيا "كاليكو" حياة الترف والفخامة ، وأن تقلع عن إجراء الحسابات اليومية لما لديها وما عليها من ديون ، وألا تضطر إلى مزاولة تلك الأعمال الصغيرة المتعددة التي تتقاضى عنها أجورا متواضعة ،فقد أصبح هو الآن معها وقريبا منها. لذلك ينبغي أن يتغير كل شيء.

قال بصوت هادئ تماما:

– "كاليكو"..

– نعم؟

– ليس عندي علبة زرقاء صغيرة بداخلها خاتم لكنها ستكون عندي.

ثم قال مقتربا منها وواضعا يديه فوق كتفيها–:

– وعلى الرغم من كل ذلك سوف أطرح عليك سؤالا: "كاليكو سميث" هل لك في أن تشرفيني بأن تصبحي زوجتي؟ هل تقبلين الزواج بي؟ من فضلك؟

رأت أنه لا ينبغي أن تبكي أو أن تنفجر ناشجة بل ما ينبغي عليها أن تفعله هو أن تكف عن مداعبته وتقلع عن الاستمرار في تلك المسرحية المأساوية.

– "كاليكو"؟

أجابته بصوت مختنق:

– لا.. لا... لن أتزوجك.

– ولماذا؟

– تعلم السبب يا "بيتر". رفض الواقع لا يغير منه شيئا ليست لي الحرية لأن أتزوج.. يتعين علي أولا أن أنتهي مما قد بدأته. وهذا من شأنه أن يستغرق مني شهورا وشهورا قبل أن يمكنني مجرد بدء التفكير في شيء آخر. لا تزد الأمور تعقيدا. أحبك لكن ليس بإمكاني الزواج بك.

– تعالي واجلسي.

– لا أريد أن أتحدث في هذا الموضوع ثانية.

– أرجوك. اجلسي بجواري فوق الأريكة. امنحيني الفرصة حتى أوضح لك وجهة نظري. إنك..

– لا مانع من ذلك ولكن..

قال –وهو يصحبها إلى الأريكة–:

– صه.

جلست متوترة واضعة يديها فوق فخذيها.

– "كاليكو" لماذا لا تنظرين إلي؟

– لا.

– تريدينني أن أتحدث في أمر على مثل هذا القدر من الأهمية دون أن أرى عينيك؟

– هذا أفضل بالنسبة لي.

رفع عينيه نحو السماء وأخذ يعد حتى عشرة.

– "كاليكو" إنني أحبك وأنت تحبينني. وبذلك يكون الحب هو الأساس القوي لعلاقتنا. وعندما ينشئ شخصان حياتهما معا على مثل هذا الأساس القوي لا يستطيع أي شيء في الوجود تدميرها.

– حديث جميل جدا. هل قرأته في مكان ما؟

– لا. أنا الذي... ثم فيم يهم هذا؟ هل أوليتني قدرا ضئيلا من اهتمامك؟

– نعم.

– شكرا. أقدر أنك قد رسمت لنفسك مسارا معينا به أهداف محددة تودين تحقيقها ،وكان كل ذلك في وقت سابق على لقائنا بمدة طويلة. وأعرف تلك الأهداف وأحترمها كما أحترمك وأعجب بك إزاءها.

– شكرا!

– لا تقاطعيني!

– آسفة.

– سوف تحصلين على شهادتك في الأسبوع القادم. ثم وفي خلال شهر آخر تصبحين بعد اجتياز اختبار آخر– محاسبة قانونية. سوف تبحثين عن عمل وفي رأيي: أنك لن تجدي صعوبة في الحصول عليه على ضوء مالك من عزيمة ومثابرة. وليس هناك مجال لأن أعترض على أي شيء من كل هذا.

فقالت:

هذا كرم منك. أووه.. لا تؤاخذني . لا تؤاخذني واصل حديثك.

– أشكرك ثانية. وبذلك لا يبقى أمامنا سوى موضوع ديونك الخاصة بمصروفاتك الدراسية. ستكون هذه هي هدية الزواج التي سأقدمها لك. سوف أعطيك شيكا بالمبلغ و...

صاحت ناهضة:

– لن تفعل شيئا كهذا.

أخذ يربت يدها حتى وافقت على أن تعود إلى الجلوس.

– هل يمكنك أن تتركيني أواصل حديثي؟ لننس هذا الموضوع. نتزوج وتعملين ويذهب كل دخلك من العمل لسداد الديون. دخلي يكفي لأن نعيش معا في رخاء. وسوف تكونين لي الشغل الشاغل بينما..

اعترضت بصوت قاطع ثم نهضت مرة أخرى. قالت:

– لا بكل تاكيد!

– أسطوانة مشروخة أخرى. أية فرصة لي! اجلسي!

جلست عاقدة ذراعيها فوق صدرها. قالت:

– "بيتر".. هذه الديون تخصني أنا. الحلان اللذان ذكرتهما متطابقان فكونك تعطيني شيكا بالمبلغ أو تعولني يعني في كلتا الحالتين مروري من أسفل العقبة وإخفاقي من أن أنجز ما كنت قد قررته. ولن أسمح لك بذلك. هل تفهمني؟

– لا. أراك متمسكة بهذه الديون قدر اعتزازك بحقيبة يدك القديمة!

– ماذا؟

– قبل أن نذهب لتناول عشائنا سألتك عما إذا كنا نترك ذلك الشيء الثقيل بالبيت. هل تذكرين إجابتك؟

– نعم. ثم ماذا؟

– قلت: إنها جزء منك وإنك تفتقدين شيئا مهما إذا ما افترقت

عنها. لا أريد أن أكون قاسيا لكنني أعتقد أنك قد أصبت بصدمة على أثر وفاة جدتك -وهذا أمر جدير بالاعتبار- وجدت نفسك وحيدة لذلك تعلقت بالأشياء المألوفة لك.. ببرنامج ينبغي اتباعه بدون أي تعديل يذكر.. بمجموعة من الأشياء التي تستطيعين السيطرة عليها.

– بيتر.

– وكان حبك لي بمثابة تجربة بالنسبة لك. لا بد أنك كنت خائفة إلى حد قاتل. وجدت نفسك على أرض مجهولة وهذا ما لم تريديه ، لهذا السبب تلجئين إلى التكرار الممل.. تتمسكين بالأمور المألوفة لك وبعاداتك. حقيبتك القديمة وديونك ووساوسك المبالغ فيها عن الطبقات الاجتماعية كل هذا يعيش بداخلك منذ زمن طويل. تجعلين من نفسك شيئا كالعصا. حملك ثقيل جدا لكنك تعرفينه جيدا على الأقل ،تقدمك نحو الأمام معي يعني لك تحدي الشياطين والاتجاه إلى المجهول. "كاليكو".. هل تفهمين ما أردت أن أقوله لك؟

– أفهمه جيدا لكنه لا يروق لي. لماذا لا تقول عني أيضا إنني متشددة متصلبة الرأي؟

– لم أقل ذلك ولم أسع إلى إيلامك! لكنني بصدد معركة شاقة، المراهنة فيها على مستقبلنا. لا أقول لا إلا بمبرر قوي. كل ما أطلبه منك هو أن تفكري جيدا فيما قلته لك الآن.

– ولن أفعل هذا يا "بيتر أندرسون" لأنه غريب. ولن أسمح لك أبدا بسداد ديوني؛ لأنني شديدة التمسك بكبريائي واعتزازي بذاتي وبفكرتي عن نفسي.. وهذا بعيد جدا عن تحليلك القائم لشخصيتي. ومن وجهة نظري استنتاجاتك مشكوك فيها إلى حد بعيد فضلا عما تنطوي عليه من إهانات.

فانفجر قائلا:

– لكن.. طالما تصرين على عنادك ومادمت متمسكة بأن تفعلي كل شيء بمفردك فكيف يمكننا أن نفعل شيئا؟ كيف يمكننا أن نهيئ لنا

مستقبلا مشتركا؟ ربما كان يلزمك بضع سنوات حتى تنتهي من سداد ديونك. "كاليكو" هل سترفضين ذلك الذي يربط بيننا من أجل مثل هذه الأهداف العقيمة؟ الحب يغير حياة الناس وينقح المشروعات ، لكن إذا كنت ترفضين الحد الأدنى للتعديل في خططك فإنك بذلك لا تعطين هذا الحب أدنى فرصة لمواصلة الحياة.

قالت بنبرة سخرية:

– من المدهش أن تكون على هذا القدر من العلم بقوانين الحب وأحكامه.

– لا علم لي بالقوانين لكن هذا ما استقيته من الاحتكام إلى المنطق وسلامة الحس.

– هل تريد التلميح إلى أنني مفتقرة إليهما؟

– ما أقوله هو..

ثم صمت وأغمض عينيه ولوى فمه.

– إنني على وشك أن أصاب بقرحة. يا إلهي.. أرجو ألا يصدق إحساسي وإلا اضطررت إلى تناول "بودينج الفانيليا" وهو أكثر شيء لا أحبه. هل فهمت أننا نتشاجر مع بعضنا البعض يا "كاليكو"؟

– فهمت تماما. أما عن معدتي فليست هي الأخرى بحالة جيدة جدا.

– اسمعيني. لا تؤاخذيني. فقد تجاوزت حدود اللياقة فأنت في أوج موسم الامتحانات ولست بحاجة إلى ما يضيف إلى أعصابك توترا. لماذا لا نرجئ الحديث في هذا الموضوع إلى وقت لاحق؟

– لا يغير هذا شيئا.

– كيف لك أن تعلمي؟ عرض الزواج قائم وسيظل قائما. أما عن بقية التفاصيل فهي مؤجلة إلى حين تخرجك في الجامعة. اتفقنا؟

– نعم ولكن..

– صه! دائما ما تستخدمين هذه الكلمة!

اقترب منها مطوقا كتفيها بذراعيه.

– كفانا حرب هذه الليلة. فقد حان وقت التفكير في الحب. الحب هو أفضل علاج للقرحة والحرب هي مسببها الأول.

استأثر "بيتر" بشفتيها وتجاوبت مع حرارة قبلته في التو واللحظة فكانت قبلة مفعمة بالرغبة.. بالرغبة المتقدة التي لا تقاوم.

www.elromancia.com

الفصل التاسع

لدهشة "كاليكو" الشديدة فإن الأيام التالية كانت ممتعة للغاية ، كانت قد توصلت إلى أن تدفع بأحزانها وبأفكارها السوداء إلى عمق بقعة مظلمة بذهنها.

كانت تقضي أوقات النهار في الاستذكار وفي أداء الامتحانات والأمور الأخرى وكانت تخصص الأمسيات لـ"پيتر" حيث كانا يتعشيان في المطعم الصغير الذي شهد أول عشاء لهما معا (مشترطة عدم تمادي "پيتر" في الالتزام بالمعايير الغذائية).

ذهبا في إحدى الأمسيات إلى المسرح حيث شاهدا مسرحية مؤثرة، بكت "كاليكو" لمتابعة بعض مشاهدها. وبعد العرض جلسا معا أمام صنف مثلج ،وهال "پيتر" كم كانت "كاليكو" تؤدي ذلك المشهد بأسلوب هزلي رائع.

وفي أمسية أخرى جلسا فوق ملاءة بمتنزه الجامعة يصغيان إلى فرقة موسيقية كانت تعزف ألحان "الجاز" القديمة ،وفي أحد أيام السبت توجها إلى متنزه "إنكانتو" حيث استقلا زورقا. تناثرت -في المنطقة الدنيا من ذلك المتنزه الشاسع- زهور صفراء كبيرة تأملها "پيتر" بشديد القلق. لكن رحيقها سرعان ما تدفق إلى أنفه حتى إن "كاليكو" كانت تظن عند كل عطسة أن الزورق سينقلب بهما.

وفي يوم الأحد تناول "ستيكس" و"آبي" معهما وجبة من "البيتزا". وكانت الليالي بعد ذلك.. ممتعة في نظر "كاليكو".. سعيدة دفأتها المشاعر وحرارة الأحاسيس.

اغتنمت "كاليكو" كل لحظة من النهار والليل لتنعم بها وتتعامل معها وكأنها منحة غالية وذكرى يعتز بها. لم يصبح هناك غد ولم يصبح هناك مستقبل بعد سماع دقات قلبها.. أو بالأحرى قلبيهما. لقد أحبته.

جلست "كاليكو" مساء الجمعة فوق فراشها مرتدية ثيابها الداخلية فقط كان ذلك يوم إعلان نتيجة الامتحانات.

كانت قد استوفت مستند طلب إرسال الشهادة إليها بالبريد وجلست تهيئ نفسها لاستلامها. وكان من المقرر أن تحتفل بنجاحها مع "پيتر" في ذلك المساء. وكان الثوب الأزرق موضوعا عبر الفراش.

قالت محدثة نفسها بضجر: لقد حصلت على شهادتي في المحاسبة لكن أين الفرح.. أين تفجر السعادة الذي كان ينبغي أن تحسه وأين الضحك والدموع والبهجة والكبرياء؟

كانت في واقع الأمر أبعد ما تكون عن الكبرياء. كم كان هذا غريبا. كل هذه الجهود وكل هذا الالتزام وكل هذا العمل من أجل إحساس باهت كهذا!

لماذا ذلك؟ والأكثر من هذا كله أنها كانت ستقضي أمسية رائعة مع الرجل الذي أحبته.

تنهدت. واقع الأمر أنها لم تنجز سوى جزء من المسيرة. جزء واحد لا أكثر...

ضايقها هذا الاكتشاف. لماذا لا يمكنها أن تكون مثل سائر الناس وتحتفل بهذا النصر المبدئي بالسعادة؟ ما الذي تنتظره من الحياة؟

قررت أن توجب على نفسها في تلك الأمسية أن تكون مرحة ظريفة عاشقة؛ لأنها في تلك الأمسية سترتدي ثوبها الأزرق .

ولينتظر الواقع حتى الغد.

وربما في الغد تنخرط في البكاء.

لم يستطع "پيتر" -على مدى وقت تناول العشاء- أن يركز انتباهه على أي شي كان سوى على تلك المرأة الساحرة الجالسة أمامه.

إذ تالقت عينا "كاليكو" ابتهاجا وانبعث عنهما وميض الياقوت الأزرق بينما كانت تتسلى بفحص كل من تفاصيل ذلك المطعم الراقي. قالت:

– "بيتر" .. أشعر وكأنني أشاهد فيلما سينمائيا ولا يمكنني أن أصدق أنني هنا بحق. انظر إلى هذه الثريات وهذه الأطباق النادرة الجمال ،كم أن كل شي هنا رقيق وثمين ، هل يمكنك أن تصدق هذا؟

ثم انفجرت ضاحكة قبل أن تستطرد قائلة:

– والطعام.. ما رأيك فيه؟ لم أتعرف على ما تناولته.

– طعاما من الدرجة الأولى بلا شك وإن كنت لم أعرف أنا أيضا مما كان يتألف.. فقد كنت مشغولا بالنظر إليك.. كنت ظريفة جدا معي يا "كاليكو". أرى كل شي من خلال عينيك فقد اعتبرت كل هذه الأشياء آتية منك. وبدونك ما كنت أعرف كيف تبدو هذه الحجرة. فهي جميلة وأنا سعيد لأنني قد تذوقت هذا الجمال. وأنت رائعة وأكاد أن أفقد صوابي من السعادة لأنني قد التقيت بك.

قالت:

– شكرا لك. لكن هذا الثوب هو صاحب الأثر الأكبر خصوصا وأنه متفق تماما مع لون قميصك.

– نعم... ربما أكون أنا الذي رتبت لذلك.

وقبل أن تتمكن من الرد عليه مر زوجان بمائدتهما. كانا على أبواب الخمسينات تميزا بأناقة ورشاقة نادرتين .قدرت "كاليكو" أن ثمن ماسة خاتم السيدة يفوق سبعة أضعاف ما تساويه سيارة "هوب هندرسون".

قالت السيدة:

– مساء الخير يا "بيتر". إنني سعيدة برؤياك.

نهض "بيتر" حيث قدم "بيتسي" و"چاك بروك" إلى "كاليكو" قالت "بيتسي" محدثة زوجها:

– "چاك".. هل ترى أنه يمكننا الجلوس لحظة مع "كاليكو" و"بيتر"؟ يبدوان وكأنهما يحتفلان بمناسبة مهمة.

فقال "چاك" ضاحكا:

– ولم لا؟ أود من ناحية أخرى أن أناقش مع "بيتر" خطتي بشأن

حوض السباحة. أريد أن ألحق به حوضا ذا عمق مناسب من أجل الطفلين. ما رأيك؟ "كاليكو" هذا الشاب واحد من أكثر المهندسين الذين التقيت بهم ذكاء ونبوغا. هو الذي صمم لنا منزلنا الجديد بوادي الفردوس.

قالت "كاليكو":

– أووه...

ثم تساءلت: ماذا تقول.. هل هو منزل كبير؟ لا، هذا غير لائق على الإطلاق خاصة وأنه كان واضحا أمام عينيها أن هؤلاء الناس من أثرى الأثرياء.. ماذا تقول إذن؟ قالت بصوت ضعيف:

– إنني واثقة بأنه منزل جميل.

واستطرد "بيتر" قائلا:

– سوف أتصل بك في الأسبوع القادم يا "چاك". إنها فكرة جميلة.. وإنك محقة فيما قلت يا "بيتسي" فهذه أمسية مهمة لقد تخرجت "كاليكو" اليوم في الجامعة وأصبحت محاسبة وسوف تؤدي امتحانا للحصول على إجازة التخصص في هذا المجال وذلك في غضون بضعة أيام.

خجلت "كاليكو" مما قاله "بيتر" إذ وجدت نفسها مكتوفة غير قادرة على مسايرة أمثال هؤلاء الناس.

قالت "بيتسي" ضاحكة:

المحاسبة؟ يا عزيزتي.. أنا التي قمت بتنظيم الحفل الخيري السنوي في العام الماضي وحصلت من هذا العمل على ربع مليون من الدولارات لنفسي وحدي إضافة إلى عدد من المقالات بالصحف المحلية.. بما فيها الـ"نيويورك تايمز"، وبينما كنت أتباهى بأهميتي استدعاني البنك وأخبرني بأنني قد سحبت على المكشوف من حسابي الخاص به.

فقال "چاك" هازئا –وهو يغمز بإحدى عينيه–:

– نعم.. ولا أمل فيها. لأن "بيتسي" ودفتر شيكات مصرفية يمثلان

معا قنبلة موقوتة.

فقالت "بيتسي":

– وهذا ما كان. وقد حصلت على شهادة المحاسبة. أهنئك وأحسدك من كل قلبي.

فقالت "كاليكو" –وعلى وجهها ابتسامة صادقة–:

– أشكرك. إنني أحب الرياضيات والأرقام وغموض النظم الضرائبية التي تثير اهتمامي إلى حد كبير.

– يقشعر جسدي عندما أسمعك تتحدثين عن عشقك لمادة تخصصك ويزداد إعجابي الصادق بك.. ومع كل ذلك أفضل لنفسي مجال الجمعيات الخيرية. "بيتر" لقد ربحت النصيب الأعظم هذا المساء. هذه الآنسة فاتنة وذكية على حد سواء.

فأجابها "بيتر" بقوله:

– تأكدي من أنني مقدر كل هذا.

قالت "بيتسي":

– هيا بنا يا "جاك" لنتركهما في سلام.

فقال "جاك" محدثا "كاليكو":

– خذي هذه، إنها بطاقة زيارتي ليست لدي حاليا أدنى فكرة عن احتياجاتنا من الأفراد في مجال المحاسبة لكنني دائما ما أوصيت بأن تكون عمالتنا على مستوى من التخصص. بعدما تجتازين امتحانك اتصلي بي هاتفيا.

فقالت "كاليكو":

– شكرا جزيلا على هذه اللفتة الكريمة.

فقال "جاك":

– إلى اللقاء "بيتر" أنتظر اتصالك الهاتفي الأسبوع القادم!

وبعد إشارة وداع باليد ابتعد الزوجان محيين عددا كبيرا من الشخصيات بالقاعة. تأملت "كاليكو" بطاقة الزيارة ثم قالت متحيرة:

– لا يمكنني أن أصدق ما حدث.

– لماذا؟ لأن "جاك بروك" يمتلك ثلاثة أو أربعة ملايين من الدولارات ومع ذلك تبادلت معه حوارا موجزا؟ وأنهما على الرغم من اختلاف الطبقة الاجتماعية –على حد قولك– تعاملا معك بأسلوب طبيعي وهنأك دون أن يفكرا لحظة في أن يسألا عن حسابك بالبنك قبل أن يوجها إليك أي حديث؟

فقالت:

– إنك محق فيما قلت وسوف أنظر إلى هذه البطاقة دائما حتى تؤكد لي أن لا أحد أقل من غيره.

فصاح "بيتر" ضاحكا:

– هائل.. إننا نحرز تقدما. هيا.. تناولي هذه الفاصوليا الخضراء فهي مفيدة لك جدا.

وعندما حان وقت تناول الحلو رفع "بيتر" كأس مشروبه ليشرب نخب نجاح "كاليكو" ونخب حياتها المستقبلة معه ونخب حبهما فغاضت عينا "كاليكو" بالدموع.

وبعد تناول القهوة نهض "بيتر" مصطحبا "كاليكو" إلى قاعة أخرى أكثر إضاءة، عزفت فيها فرقة موسيقية ألحانها التي رقص عليها عدد من الأزواج في ساحة أحاطت المناضد المستديرة بها من كل جانب، أحست "كاليكو" وكأنها تعيش أسطورة خيالية.

جلسا إلى المنضدة التي كانت قد حجزت من أجلهما، وبعدما أخبر "بيتر" النادلة بطلباتهما التفت إليها مبتسما:

هل تسمحين لي بهذه الرقصة؟

– بكل سرور يا سيدي.

وكانت بين ذراعيه في غضون لحظات حيث تمايلا على أنغام موسيقى الـ"فالس".

لم تكن كلمة السعادة كافية لأن تصف الحالة التي عايشتها بين

ذراعي "بيتر" وفي كنف حبه وحمايته وفي عبير عطره الجذاب.

كان ذلك هو العالم الذي ينتمي "بيتر" إليه والذي أصبحت هي تنتمي إليه. بطاقة زيارة بحقيبة يدها تقوم دليلا على أن مواهبها جديرة بالاحترام والاعتبار. وكان ثوبها جميلا يضارع أجمل الثياب التي ارتدتها الأخريات في ذلك المساء. ورقصت هي و"بيتر" في انسيابية وانسجام يوحي بأنهما قد تدربا معا على هذا الأداء منذ سنوات.

لكن كانت هناك دائما تلك العقبة المتمثلة في ديونها تعوق الطريق المؤدي إلى "بيتر".

رأت أن تكف عن التفكير في هذا الأمر مؤقتا فهذه الأمسية وتلك الساعات المتبقية منها ملك لـ"بيتر" ولها.

بعدما رقصا طويلا غادرا القاعة إلى شرفة مطلة على الحديقة فراود "كاليكو" ذلك الإحساس بأنها تعيش مشاهد فيلم سينمائي. كانت الشرفة أشبه بإحدى شرفات مزارع الجنوب القديمة. أدت بعض الممرات المحاطة بالزروع إلى حديقة مضاءة هنا وهناك بواسطة كشافات غير مباشرة الإضاءة. واستندت إلى جدران الشرفة المقاعد المستطيلة المصنوعة من الحديد المشغول والمطلية باللون الأبيض، بينما تناثرت مقاعد مماثلة على جوانب الممرات بالحديقة. اكتسى كل شيء بجمال وهدوء لا نظير لهما.

استنشقت "كاليكو" عبير الليل بعمق ثم قالت ضاحكة:

– كم أن هذا الهواء الطلق وعبير الصيف والزهور البرية جميل. حاول ألا تستنشقه يا "بيتر".

– تناولت قرصا مضادا للحساسية قبل مغادرتي البيت. لكن لا تخشي شيئا. لا يسبب هذا الدواء ميلا إلى النعاس هذه ليلتك على الأقل.

– كم أنك رومانسي يا "بيتر أندرسون".

فقال مبتسما:

– هذا صحيح. وهو مناسب لي جدا. فأنا عاشق ويجدر بي أن أكون رومانسيا.

أخرج من جيبه علبة زرقاء صغيرة عندما فتحها تألقت بداخلها ماسة على شكل قلب في الإضاءة الخافتة.

– "كاليكو".. هذا لك.. تفضلي بقبوله.

نظرت "كاليكو" إلى الخاتم الماسي ثم أحست وكأن قبضة باردة قد اعتصرت قلبها.

– آه يا "بيتر".. كم إنه رائع. إنه.. لكن لا.. لا يمكنني قبوله وأنت تعلم جيدا. حقيقة أنني أصبحت واثقة بأن المعوقات التي تعترض سبيلنا أقل مما كنت أعتقده. فقد نضجت وفهمت أن بعض الأفكار التي كنت أتمسك بها لم تكن واقعية ،وأنني التي نسجتها من حولي بهدف حمايتي. لكن هذا كله لا يتعارض مع واقع أنني لست مطلقة الحرية.. فهناك ذلك الدين الكبير.. الذي يقترب مبلغه من ألف دولار والذي يتعين علي سداده بنفسي.

– هل تفضلت بالإصغاء إلي دقيقة؟ لقد صححت وجهة نظرك فيما يتعلق بالفوارق الاجتماعية. حسنا جدا. دعيني أحاول إقناعك باتخاذ موقف مماثل بشأن تلك الديون.

– لا.. لأن..

– دعيني أكمل حديثي. إنني لا أقبل الفشل. لقد قطعنا مسافة طويلة على طريق سعادتنا ولا يبقى أمامنا سوى هذا العائق الذي سوف نجد له حلا مناسبا. وسوف نهتدي إليه يا "كاليكو" إذا ما عقدنا العزم على ذلك. فمعا يمكننا أن نفعل أي شي وكل شي.

– لكن هناك من الأمور ما لا يمكننا تصحيحها أو تعديلها يا "بيتر". لن يستطيع أحد أن ينفخ نفخة سحرية في عقود الاستدانة الخاصة بي فيجعلها تختفي. ولا يمكنني أن أطلب منك الانتظار مدة لا أعلم مداها حتى أنتهي من سداد ديوني. ولا أقبل مساعدة مالية منك. لا

أمل في إيجاد حل لهذا الموضوع.

– لا! كل ما في الأمر هو أننا لم نهتد بعد إلى الحل الأمثل. لن أعيد ذراعي يا "كاليكو". اقبلي حلا وسطا بشأن هذا الخاتم هل تعدينني بأن تكوني.. خطيبتي؟

– معذرة؟

– لن نعتبر هذا خاتم خطبة. سوف تضعينه بيدك اليمنى وعندما نقوم بتسوية هذه المشكلة الأخيرة سوف ننقله إلى اليد الأخرى.. ونصبح خطيبين.

– لم أسمع في حياتي شيئا كهذا.

– ولا أنا.. لكن ما المانع؟ اقبلي أرجوك!

– إنني..

– قولي "نعم" يا "كاليكو" إنني لا اخدعك.

قالت:

– نعم.

– آه يا "كاليكو".. أشكرك.. مائة مليون شكر لك. أحبك يا "كاليكو" وبهذا الخاتم أعلن على الملأ أنني أحبك.

ثم ألبسها الخاتم ببنصر يدها اليمنى.

ظلت "كاليكو" تنظر إلى الخاتم طويلا وبعد ذلك احتجبت عنها الرؤية بسبب الدموع الغزيرة التي فاضت بها عيناها. التفتت نحو "بيتر" قائلة:

– إنني.. لا تؤاخذني.. أحبك جدا وكنت أود أن..

– سوف نجد حلا.. أقسم لك على ذلك.

*****

لم يتبادلا أي حديث على مدى الرحلة إلى بيت "بيتر" كما لو كانت هالة من الرغبة والمشاعر المتوهجة قد أحاطت بهما.

أغلق "بيتر" باب الشقة ولم يكن بداخل حجرة الاستقبال سوى بضع من الأشعة الفضية التي اختار القمر أن يقذف بها هناك.

تقدمت إلى الداخل فأحست بمن أمسك بكتفيها دافعا ظهرها إلى الباب. لم تفارقها عيناه.

لم تكن تلك الليلة الساحرة قد انتهت.. فلم يزل هناك أن تهب نفسها.. أن تقدمها إلى من أحبته وأحبها إلى حد الجنون حتى يرقدا في النهاية في دوامة من السعادة الغامرة.

أحست "كاليكو" وكان الهواء قد قلت كثافته من حولها إذ أصبح مشبعا برغبة يمكن لأدنى شرارة أن تطلقها.

اقترب منها ببطء شديد وحنى وجهه على وجه "كاليكو". قبل وجنتها اليمنى ثم اليسرى ثم قمة أنفها ثم استأثر بشفتيها مداعبا مثيرا حتى اقشعر جسدها بنفاد صبر.

– أحبك يا "بيتر".

– أحبك يا "كاليكو"..

– آه يا "بيتر".. كان ذلك مدهشا..

فقال –مقبلا صدغها–:

– نعم. وينبغي أن نظل معا طوال حياتنا في الأيام السعيدة والسيئة.. إنني.. هل تسمعينني؟

– لا.. لا أريد التفكير في الغد.

الفصل العاشر

نادت "آبي" قارعة الباب:

– "كاليكو".. تسمحين لي بدخول كهفك؟

– أسمح لك بلقاء على مدى خمس دقائق. ادخلي وتحدثي بسرعة!

دخلت "آبي" الحجرة واقتربت من الفراش الذي كانت "كاليكو" جالسة فوقه محاطة كالمعتاد بالكتب والكراسات وبرامج الكمبيوتر.

قالت واضعة يديها على كلا جانبي خصرها:

– ما الذي حدث؟ إنك محتبسة هنا منذ بعد ظهر السبت. لابد أن تكوني قد أصبحت بحاجة إلى مغادرة الحجرة حتى تتناولي شيئا أو تغتسلي. اليوم هو الثلاثاء وحان وقت تناول العشاء! هذا أكثر مما ينبغي. لابد أنك تعرفين محتويات هذه الكتب أكثر من مؤلفيها.

– "آبي"! قررت أن أراجع كل شيء! وسيستغرق الامتحان.. ثماني ساعات يوميا لمدة ثلاثة أيام.. وسيبدأ غدا!

– اهدئي. سوف تجتازينه بنجاح وبتفوق أيضا. وما رأي "بيتر" في أنه منع من زيارتك منذ السبت الماضي؟

– ليس سعيدا بذلك لكن ينبغي أن يعلم أن هذا الامتحان يأتي في مقدمة أفضلياتي.

– وبعد هذا الامتحان ستكون هناك مهمة البحث عن عمل. وبعد الحصول على العمل المطلوب ستكون هناك مشكلة سداد الديون. كم من الوقت تعتقدين أن "بيتر" سوف يصبر على حياة الوحدة؟ يحبك وأنت تحبينه لكنك تغامرين بإضاعة كل شيء وإفساد كل شي بعنادك الأحمق ،وبكبريائك الراجعة إلى الفكرة الهائلة التي تريدين أن تقترن بك، تصرف مثير للضحك.. وللأسى. ها قد أخبرتك بما أردت أن أقوله. واصمتي تماما! فإنك أشبه بـ"هوميروس"!

لم تبد "كاليكو" حركة واحدة بل ظلت تتأمل صديقتها باهتمام.

بينما استطردت "آبي" تقول فجأة:

– وشيء آخر. قبلت عملا عند محام شاب لوضع النظام الإداري لمكتبه على المسار الصحيح.

– أهنئك وإنني..

– انتظري لم أنته بعد. رفضت كذلك عملا بأحد المتاجر يقدر أجري عنه بضعف –اسمعيني جيدا يا "كاليكو"– ضعف ما سوف أتقاضاه بمكتب المحامي!

– لكنك مخطئة في ذلك. لأنه يتعين عليك أنت أيضا سداد ديونك الدراسية. ماذا أصابك؟ لابد أن تكوني على غير حالتك الطبيعية!

– لم يصبني شيء لكنني أحب "ستيكس". علمت من العاملين بذلك المتجر بأن عملهم يمتد إلى ساعة متأخرة ليلا ، وأنه ينبغي التأقلم مع هذه الظروف. يتقاضون مكافآت مجزية لكنهم يقضون حياتهم في العمل.

– لكن..

– "كاليكو".. سوف أسدد ديوني. وهذا ما يعني أنني سوف أضطر إلى أن أعيش هنا عاما كاملا قبل أن أجد شقة خاصة بي. لكن ليس لهذا أية أهمية. ستكون حياتي أكثر سعادة. سيكون لي "ستيكس" وعمل سوف أحبه بكل تأكيد ووقت لنفسي.

– لكنك يا "آبي" تحلمين بأن تكون لك شقة! كم من مرة تحدثت معي عنها؟

– "كاليكو".. الشقة ليست أكثر من علبة تتسع لنا وسقف يسترنا. "ستيكس" هو الرجل الذي أحبه. لم يكن هذا قرارا صعبا اتخذته صدقيني. قبلت حلا وسطا أحصل من خلاله على أفضل المتاح. ثم ما المانع في أن أعيش هنا عاما آخر؟ وبماذا يفيد ذلك الأجر المضاعف الذي سأفقد معه "ستيكس" لأنني لن أجد الوقت الكافي الذي أخصصه له؟

– "آبي".. هل تقدرين معنى ما سوف تفعلينه؟

– وأنت .. هل تدركين صدى ما تفعلينه؟ لقد جعلت من موضوع الديون هذا نصبا تذكاريا مهما. إنك مثل مشتري سيارة مستعملة يسيل لعابه أمام أحدث الموديلات ويتحرق شوقا إلى اقتنائه. مثلك تماما فأنت متحرقة شوقا إلى أن تتخلصي منها. لكن لا فرق بين الحالتين.

قالت "كاليكو" –من خلال عينين طارفتين–:

– أشكرك. واقع الأمر أنني دائما ما اعتقدت أن لنزاهتي أهمية ما.

– عظيم جدا. عليك أن تتمسكي إذن بنزاهتك هذه. تعلمين أنني لست باقية هنا لإعجابي بالوقوف في طابور طويل حتى أحصل على فرصة لدخول الحمام! لكنه أسلوبي في التأقلم وفي إظهاري لـ"ستيكس" مدى حبي له. إنني نصف من كل يا "كاليكو" وهكذا أنت أيضا. أنت أحب الصديقات إلى نفسي.. أشعر برغبة في البكاء..

غادرت الحجرة حيث أغلقت الباب بجلبة من خلفها. قالت "كاليكو" –محدثة نفسها–:

لا. إنك مخطئة يا "آبي كولب". إنك مخطئة تماما.

ضغطت على شفتيها بأصابعها المرتعشة وخفضت بصرها نحو الكتب المتناثرة فوق الفراش.

أخذت تردد لنفسها أن "آبي" قد أخطأت. أما هي فلن تحقق كسبا ماديا على حساب حبها لـ"پيتر".

احتقن حلق "كاليكو" ولم تزل تردد اعتقادها بأن "آبي" مخطئة. ولابد أن تكون قد أخطأت فيما اتخذته من قرارات.

أحست برغبة مفاجئة في أن ترى "پيتر" ولو لبضع دقائق تؤكد فيها نظريتها وأفكارها حتى لا تستمر معاناتها.

جلس "پيتر" أمام شاشة التليفزيون غير قادر على متابعة ما يجري أمامه لشدة توتره وضيقه. قال متمتما:

– انتهى كل شيء.

أخذ يعزف بأصابعه على المسند الجانبي للمقعد ولم تبرح صورة

"كاليكو" ذهنه لحظة واحدة. كان يحبها ويعزها لكنه كان يوشك أن يفقدها شيئا فشيئا. أحس بالتعاسة والوحدة فاشتد غضبه.

لم يستطع أن يتحمل هذا الوضع مدة أطول. رأى أن "كاليكو" قد وضعته فوق أحد أرفف خزانتها مثل لعبة قديمة قد تمتد يدها إليها يوما ما إذا ما توفر لديها وقت لذلك. لم يكن ما تريده زوجا.. بل لعبة.

أسند ظهره إلى الخلف. لم يكن قد أفلح في أن ينام جيدا منذ يوم السبت الذي اصطحب "كاليكو" فيه إلى بيتها. رأى أحلاما مزعجة كانت توقظه قبل حلول الفجر وتحول دون عودته إلى النوم.

كانت "ميريام" قد هددته بأن تقتله إذا ما ظل على حاله غير المحتمل لكنه لم يتمكن من السيطرة على نفسه. كان الضغط شديدا عليه ولابد أنه كان يعاني حالة توتر شديد ،ولم يكن هناك أدنى شك في أن كل تلك الأمراض المتشابكة ستعرف طريقها إلى بنيته الجسدية الضعيفة. هل كان بوسعه أن يتصرف على نحو آخر؟

كيف كان يمكنه أن يفهمها أن عنادها يهدد بإضاعة كل شيء؟ لم يستطع أن يقنعها بذلك.

سمع صوت رنين ناقوس الباب. فنهض بلا حماس متوجها ببطء إلى المدخل ودون أن يأبه بالنظر من خلال العين السحرية فتح الباب متمايلا فقالت "كاليكو":

– مساء الخير.

فقال وقد امتقع وجهه اضطرابا:

– من؟ "كاليكو"؟

– نعم.. إنه أنا بالفعل.. أعلم أنك لم تتوقع مجيئي وأنه كان ينبغي أن أتصل بك هاتفيا قبل أن أجيء ولكن.. "پيتر" أود أن أتحدث معك. هل تسمح لي بالدخول؟

أووه.. أووه.. بكل تأكيد.

ونحا جانبا حتى يسمح لها بالدخول ، أغلق الباب وتبعها إلى حجرة

الاستقبال.

– هلاّ جلست؟

– لا شكرا.

رمقها بنظرة ثم اتخذ أول مقعد. عندما جلس بارتياح نظر إليها ثانية دون أن يبدي أية دهشة أو قلق. وخيم على الحجرة صمت ثقيل فقال أخيرا:

– كنت تريدين أن تتحدثي معي. هانذا مصغ.

– أعلم يا "پيتر". أعلم. قلت لي ذات مرة: إنني أتمسك بموضوع الديون مثلما أتمسك بوجود حقيبتي القديمة معي دائما طلبا للحماية؛ لأنني بحاجة إلى الأمان المستمد من الأشياء المألوفة.

– هذا صحيح.

تساءلت: لماذا لا يبتسم لي.. ولو بقدر طفيف؟

– حضرت "آبي" اليوم إلى حجرتي وعرضت علي نظريتها وفحواها أن ديوني هذه سوف تتحول إلى شيء... محسوس بذهني وأن سدادها سيتحول إلى وساوس تماما كما لا يقدم امرؤ ما على إقامة علاقة مع الآخرين قبل أن يشتري سيارة من طراز معين.

– جميل.

– أصبت فجأة بـ... أحسست على الفور بأنني فاقدة الاتجاه يا "پيتر" إنني بحاجة إلى أن تؤكد لي أنني كنت محقة فيما فعلت وفي أسلوب تصرفي. أريد أن أنظر إليك وأقول لنفسي: هذا هو الرجل الذي أحبه ولا ينبغي أن أضعف؛ لأنني عندئذ لن أصبح أنا "كاليكو" التي تحبها وعندئذ...

قال "پيتر" –وهو ينهض فجأة–:

– انتظري لحظة. قطعت كل هذه المسافة عبر أوتوبيس يتصاعد منه الدخان حتى تعيدي شحن بطارياتك وتسمحي لنفسك بمطالعة صورتك في المرآة أنت ومبادئك الفاسدة؟

– لست بحاجة إلى أن تصيح.

– بلى.. أنا بحاجة ولي رغبة في أن أصيح. لقد استهلكت كل مخزوني من الصبر على مدى ثلاثين عاما يا "كاليكو". تتخذين القرار وتضغطين على الأزرار وتقولين لي ما ينبغي أن أفعله ومتى. حسنا. عليك الآن أن تصغي إلي: أحبك معدمة أو ثرية أو مريضة أو بصحة جيدة تسمعينني جيدا يا "كاليكو".. ثرية أو فقيرة.

– "پيتر"...

– لا.. أعتقد بصدق أن ما قلته عن مسلكك صحيح. وما قالته "آبي" إنما يؤكد وجهة نظري. ألا ترين أن هذا واضح لجميع المحيطين بنا؟ يا إلهي يا "كاليكو" إنك تضحين بنا من أجل دين صغير!

– وأنا... كبريائي.. واحترامي لذاتي.

– اسمعيني الآن! أنا.. أنا... أنا... أنت دائما هذا هو كل ما تفكرين فيه. ونحن؟ نحن بصيغة الجمع؟ اسمعيني. نحن علينا دين.. يمكن لأحدنا سداده بالتوقيع على شيك... بمثل هذه السرعة!

– لا.

فتح فمه ليرد عليها ثم أغلقه ثانية. هبطت كتفاه في استرخاء وقال بعد ذلك بنبرة رقيقة:

– حسنا.. لا أعتقد إذن أن هناك شيئا يقال بعد الآن. أحبك يا "كاليكو" لكنني لن أنتظر سنوات حتى تتمكني من سداد ديونك. هل تذكرين "الموزة الزرقاء" أرجو لك..

ثم هز رأسه.

أحست "كاليكو" بأن حلقها قد جف إلى حد الاختناق. أحست برغبة في أن تسرع نحوه وتختفي بين ذراعيه لكن لا! فهما لا يقدران. لا هو ولا "آبي" وينبغي عليها هي أن تظل قوية مخلصة لذاتها. بكت.

سرت إلى الجانب الآخر من الحجرة فوق ساقين مرتعدتين حيث نزعت الخاتم من إصبعها ووضعته فوق أحد أركان المنضدة. ثم قالت بصوت

هامس:

– إلى اللقاء يا "بيتر". إنني آسفة بحق.

لم يجبها بشيء. أغلق الباب من خلفها فأحس بأنه يتمزق من الداخل بفعل سلاح ناري.

الفصل الحادي عشر

جلست "كاليكو" في ظل إحدى الأشجار تشاهد إحدى بحيرات متنزه "إنكانتو". ارتسمت ابتسامة على وجهها عندما تذكرت تلك الرحلة بالزورق التي كان "بيتر" قد اصطحبها فيها.

كان ذلك يوما جميلا انقضى عليه زمن طويل بدا وكأنه قرون من الزمان. ذبلت الابتسامة على وجهها. لم يكن من الحكمة أن تأتي إلى هنا. لماذا هذا التعذيب لذاتها؟ فقد مضى أكثر من ستة أسابيع.. ستة أسابيع طويلة ويومين منذ آخر لقاء لها مع "بيتر" بشقته.

لم يكن "بيتر" مخطئا ولا "آبي" أيضا. هي التي تمسكت بضرورة سداد ديونها بنفسها على نحو مبالغ فيه.

ومع كل ذلك فهي تحبه.

كانت قد سددت القسط الأول من الدين في صباح ذلك اليوم نفسه في أحد البنوك المزدحمة بالناس والغنية بالضوضاء. وعندما تسلمت إيصال السداد انفجرت باكية.. وقصاصة من الورق. لقد أضاعت حبيبها من أجل قصاصة ورق.

أحست بخطئها وراودها إحساس شديد بالخوف. وقد ولى أوان الندم.

أسكتت كبرياءها للمرة الأولى في حياتها.

*****

كانت "كاليكو" جالسة خلف إحدى مناضد "الموزة الزرقاء" بعد ذلك اليوم بليلتين ولم يكن بالمقهى عدد كبير من الرواد في ذلك المساء.

اتسعت عيناها دهشة عندما رأت زوجين يدخلان القاعة. همست قائلة:

– آه.. مساء الخير.. لم أصدق عيني.

تقدم نحوها "ستيكس" و"آبي" مرتديين معطفيهما ونظارتي شمس، كان معطف "ستيكس" قصيرا بشكل ملحوظ بحيث بدا كلاهما وكأنهما ممثلان في فيلم متواضع الميزانية.. في مسرح طلابي.

– لا.. لا يمكنني أن أصدق!

فقال "ستيكس":

– دهشت اليس كذلك؟ حسنا. إلى العمل لنتبادل أولا أخبارنا: لنبدأ أولا بأفضل مخبر سري بعد "شرلوك هولمز" قمت بجولة كشفية حول شركة "بيتر"، كان قد غادر مكتبه لتناول الفطور وبناء على ذلك دخلنا إلى هناك وتحدثنا مع سكرتيرته واسمها "ميريام" شخصية ظريفة يا "كاليكو" من ذات نوعية جدتك.

ثم واصلت "آبي" الحديث بقولها:

– أخبرتنا "ميريام" بأن "بيتر" متأثر بفراقك إلى حد كبير وأقسمت لنا على ورق لعب البريدج الخاص بوالدة "بيتر" بأنه لا يخرج مع أية امرأة أخرى وأنه يقضي الوقت كله ببيته. وإلى هنا تنتهي أخبارنا.

لكن "ستيكس" سرعان ما أضاف:

– التقيت بعد ذلك بصديقي "فرانكو" وبذلك يكون لدينا كل ما أنت بحاجة إليه. وأخبرني "هوب" بأن سيارته بحالة جيدة.

فقالت "كاليكو":

أما أنا فالتقيت بالسيدة "وذرباي" وكانت مبتهجة جدا وتحدثت معي طويلا. وباختصار شديد أصبح مفتاح شقة "بيتر" معي الآن أخذته منه بحجة اتخاذ بعض إجراءات الأمن... لكنني أكاد أموت خوفا.. لن أستطيع..

فقال "ستيكس":

– هيا. تشجعي.

– وإذا طلب "بيتر" مني العودة إلى بيتي!

– لا مجال للتراجع الآن. غدا يتم تنفيذ العملية.

*****

غادر "بيتر" مساء اليوم التالي المصعد ثم توقف. لم يكن تواقا إلى قضاء ليلة طويلة أخرى بمفرده بداخل شقته الخاوية ومع ذلك لم يكن أمامه بديل عن ذلك. أحس بوحدة قاتلة وبخواء داخلي وإرهاق شديد.

حدث نفسه بأنه قد أصبح حطاما غير قادر على احتمال فراق "كاليكو" التي ظل وفيا لحبها. أحس بحاجة شديدة إليها وبرغبة جامحة فيها. تنهد ثم تقدم نحو الباب بخطى متثاقلة. فتح الباب ثم سكن في مكانه تماما. قرع عسل!

عشرات من ثمار قرع العسل كانت تفترش أرضية شقته حتى بدت وكأنها حقل لم يزرع فيه شيء آخر.. أشياء صفراء ومستديرة بجميع الأحجام والأشكال ودرجات اللون الأصفر لكن كل ما هناك لم يخرج عن كونه قرعا عسليا.

– إنني.. أشعر بأنني قد فقدت صوابي. كانت "ميريام" محقة فيما قالته. إنني في قاع الهاوية.. إنه الاكتئاب العصبي العنيف لقد جننت أخيرا!

أجابه صوت رقيق للغاية:

– لا تقل ذلك.. لم يصبك شيء واحد من كل هذا، كل ما هنالك أنك محبوب جدا.

ارتجف:

– "كاليكو"؟

رآها تخرج من المطبخ ببطء.

– "كاليكو"!

بدت أكثر سحرا مما يعرفه عنها. خفق قلبه بشدة بقدر حبه لها، لكن

ما الذي كانت تفعله هنا؟ ولماذا أقدمت على أن تجعل من ثمار قرع العسل ديكورا لشقته؟

– "بيتر".. افتقدتك جدا. كنت مخطئة وإنني نادمة على ذلك. أود لو أنك تسامحني.

– وأنا أيضا أحبك. من الصعب علي جدا أن أعبر لك عن مدى حبي ونحن على مرآى ومسمع كل هذا العدد من قرع العسل. هل أوضحت لي سبب وجوده؟ هل انتهى الأمر بك إلى الانجاز في الفاكهة؟ ثم.. كيف أمكنك دخول الشقة؟ حسنا.. لننس هذا ولنركز على موضوع قرع العسل.

– هذا هو أسلوبي في الإعلان.. هل تذكر تلك الأمسية في "الموزة الزرقاء".. وتلك الرسالة عن أن لا أهمية للماديات.. كنت قد حولت ديوني الدراسية إلى هدف ما، والآن هذا هو أسلوبي في أن أعلن لك أنني فهمت الآن مدى الخطأ الذي وقعت فيه.. وكم كنت محقا على طول الخط بشأن هذا الموضوع. وإنني تعسة جدا يا "بيتر"!

قال "بيتر" –خافضا بصره نحو جمهور قرع العسل–:

– آه.. نعم. قصيدة قرع العسل.. أذكرها جيدا. وعلى أثر إعلانك هذا لا أجد مجالا للاقتراب منك.

رفع "بيتر" رأسه مركزا بصره عليها فحدثت نفسها في صمت: ها هو يرفضني رغم أنني لا أستحق ذلك.

دفع "بيتر" يده إلى داخل جيب صداره وأخرج منه شيئا صغيرا براقا على شكل قلب:

– هذا من أجل بنصر يدك اليسرى لو كانت لك رغبة فيه.

تمّت بعون الله